دار التوحيد
لتحفيظ القرآن الكريم

هاتف: ٢٦١٩٥٦٤

وقفات تربوية
مع
سورة الإخلاص والمعوذتين

جمع وإعداد:
أ/ نجلاء السبيلّ

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص

سبب النزول:

على الصحيح من أقوال أهل العلم أنها نزلت في المشركين حين قالوا: يا محمد اُنسب لنا ربك، فنزلت :

﴿ قل هو الله أحد ¤ الله الصمد ¤ لم يلد ولم يولدْ ¤ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . .

ردّ الله فيها على المشركين بجميع أنواعهم : ردّ على اليهود الذين قالوا عُزيرٌ ابن الله، و ردّ على النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، و ردّ على مشركي العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله.

– فبدأ الله عز وجل بنفسه و نزهها عن كل ما يقولون:

١. و التنزيه توحيد.

٢. ثم إن هذه السورة كلها تتحدث عن الله و ليس فيها من المخلوقين أحد لذلك سميت بسورة الإخلاص.

فضل هذه السورة:

١. أنها سبب في دخول صاحبها الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [أقبلتُ مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ « وجبت » ،،، فسألته: ماذا يا رسول الله ؟ فقال: الجنة [1]].

٢. أنها تعدل ثلث القرآن

– **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ : أحشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج النبي ﷺ فقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ثم دخل.. فقال بعضنا لبعض: إني أُرى هذا خبرٌ جاءهُ من السماء ، فذلك الذي أدخله، ثم خرج النبي ﷺ فقال: إني قلتُ لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن][2].

– **وعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: [أن رجلاً سَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يُردّدها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالُّها ؛ فقال رسول الله ﷺ : و الذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن][3].

---

[1] رواه مالك و الترمذي و قال حديث حسن صحيح.

[2] رواه مسلم و الترمذي.

[3] رواه لبخاري و مالك و أبو داود و النسائي .

فالقرآن أُنزل أثلاثاً: ثُلثٌ منهُ أحكام، وثُلثٌ منهُ وعدٌ و وعيد ، و ثُلثٌ أسماء وصفات وقد جمعت: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أحد الأثلاث و هو توحيد الأسماء و الصفات.

٣. أنها سببٌ في نيل العبد محبة الله

عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية و كان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم "**بقل هو الله أحد**" فلما رجعوا ذكرا ذلك للنبي ﷺ فقال:[سلوه لأي شيء يصنع ذلك ، فسألوا : فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحُب أن أقرأ بها ، فقال ﷺ : أخبروه بأن الله يحبه][1].

فعُلِم من الحديث أن حب آيات الصفات خاصةً تُنال بها محبة الله تعالى..

⇦ إن أعظم ما في كتاب الله آيات التوحيد ، وأخصُ ما في هذا التوحيد آيات الصفات التي تتكلم عن صفات الرب، وعظمته وكبريائه فهي أعظم الآيات ، والآياتُ في كتابِ الله تتفاضل لا باعتبار المتكلم بها ؛ "***لأن المتكلم بها هو الله الواحد الأحد*** " ، وإنما باعتبار المعاني والدلالات التي تدل عليها ، من أجل ذلك **قال بعض أهل العلم** : « ليست قل هو الله أحد مثل تبت يدا أبي لهب وتب » .

فهذه السورة كما أشرنا سابقاً كلها تتحدثُ عن الله، عن ذاتِهِ العليَّة وأسمائه وصفاتِهِ فلا شك أن كلام الله عن نفسه أعظمُ من كلامه عن خلقهِ..

ومحبة الرب لعبده ⇦ هذه منزلةٌ عاليةٌ رفيعة الكلُ يتشوقُ لها ، والكلُ يتنافس عليها ويرجوها فبها يزكو العمل القليل ، ويُبارَكُ في الجهد اليسير ، فلا المُجتهد السابق مستغنٍ عنها ولا القاصدْ أو المقصر مفلحٌ بغيرها، لذلك **قال أنس بن مالك** ﵁ : « فأنا أحبُ الله و رسوله ، وأبا بكر وعمر ، فأرجوا أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم »[2].

فعملُ العبد كثيراً ما تلحقهُ الآفات والفترات والنقائص ، فإذا ما استجمعَ الإنسانُ في قلبِهِ محبةً صادقةً خالصةً لله ولرسولِهِ ﷺ فإنَّ ذلك يعوضُ نقصان عمله ويبلغهُ المنازل العالية التي ربُما قصُرت عنها همتهُ[3].

- فليس العجيبُ أن يُحبَ العبدُ ربهُ ؛ ولكن المؤملَ والفوزُ والسعادة كل السعادة أن يحبَ الرب عبده..

فالله عزوجل إذا أحب عبداً تولاه، فإذا تولاه ظَفُرَ بالخير والفلاح والنُصرة ، والتأييد والمعية .

كما جاء في الحديث القدسي: [... فإذا أحببتهُ أصبحتُ سمعهُ الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصرُ به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي عليها..].

---

[1] رواه البخاري ومسلم والنسائي.
[2] صحيح مسلم.
[3] الأسباب العشر الجالبات لمحبة الله (٧-٨) بتصرف.

🖎 هذا الحب يبدأُ من العبد نفسه، فالعبد إذا أحب ربه و كان قلبه وعاءً لمحبته أصبحَ مهيئاً أن يُحبهُ اللهُ..

ومن أعظم الأعمال التي تنالُ بها محبة الله :

☆ بأن تحرص على إتباع سنة رسول الله ﷺ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله . . ﴾ .

☆ كثرة النوافل بعد الفرائض: [ما تقرَّب إليَّ عبدي بأحبَّ مما افترضتهُ عليه، وما زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..].

☆ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه: لأن القرآن هو الدال على الله وعلى محاب الله، فلا جرمَ أن كانت محبتهُ طريقٌ موصلٌ لمحبة الله ومرضاته.

يقول ابن الصلاح رحمه الله: « قراءة القرآن كرمةٌ أكرم الله بها البشر، فقد وردَ أن الملائكة يلم يُعطوا ذلك وأنها حريصة على استماعه من الإنس »[1].

فتأمل هذا الكلام جيداً واعلمْ أن الله أعطاك سر محبته، فالقرآن دليلُ محبته [2].

وقفة مع قراءتك لهذه السورة:

المؤمن يكون قريباً أقربَ ما يكون من ربه، إذا أقبلَ على الله بقلبه..

- فاقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وأنت مُعلّق القلب بربك..

- اقرأها وأنت تعلمُ أنها تقربكَ لربك..

- اقرأها وأنت تتمنى وتتشوق أن يحبكَ ربكَ فتقول بلسانِ حالك ومقالك: " اللهم إني أحبك حتى وإن عصيتك" .. " اللهم إني أحبك حتى وإن كنت أحياناً أنأى عن طاعتك ".." اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عملٍ يقربني إلى حبك" ..

٤. هذه السورة فيها اسم الله الأعظم

عن عبد الله بن بريده عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ لمسجدٍ فإذا رجلٌ يصلي ويدعو ويقول : "اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد " فقال ﷺ : [والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئلَ به أعطى وإذا دُعيَ به أجاب][3].

وقد استدلَ بعض أهل العلم على أن لفظ الجلالة " **الله**" هو الاسم الأعظم وذلك لأنه الاسم الذي تتوجه به المخلوقات لربها..

---

[1] الإتقان في علوم القرآن.

[2] من أرادَ الاستزادة فلينظر كتاب شرح الأسباب العشر الجالبة لمحبة الله، عبد العزيز مصطفى.

[3] رواه أصحاب السنن.

فالمريضُ يقول يا الله وقصدهُ يا شافي..

والفقير يقول يا الله وقصده يا مُغني..

والمظلوم يقول يا الله وقصدهُ يا منتصر..

وقيل أيضاً أن من فضائلها:

أنها سببٌ في أن يُرزق العبد الإخلاص ، فمن أرادَ أن يُخلص في توحيده وكل أعمالهِ فعليه بسورة الإخلاص – قراءةً وتدبراً وعملاً بمقتضاها– وهذا ما سيظهرُ لك من خلال الشرح بإذن الله.

➢ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ :

كلمة " أَحد " لا تُستخدم عند العرب إلاّ بالشيء الذي لا ثاني له ولا شبيه له من الأشياء.

قال أبو حاتم: " أَحد" هو اسمٌ أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قُلتَ: فلانٌ لا يقوم له واحدٌ جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر ، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد ". [1]

" الأحد" **فيه خصوصيةٌ ليست في الواحد:** فهو الفرد من جميع الجهات ليس قبله ولا بعده ولا مثله شيء..

قال ابن سعدي : « قد انحصرت فيه الأحدية ، فهو الأحدُ المنفردُ بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة الذي لا نظير له ولا مثيلَ »[2].

فهو سبحانه الواحد الأحد الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وأنتَ إذا آمنتَ بوحدانية الله حققت الصمدية له جل جلاله.

➢ ﴿ الله الصمد ﴾ :

قال القرطبي رحمه الله : « اشتملت السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يُوجدا في غيرها من السور وهما " الأحد – الصمد " لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال ، وبيان ذلك :

أن الأحد يُشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره.

والصمد يُشعر بجميع أوصاف الكمال، لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه»[3].

قال ابن عباس ﵁ : « يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم ».

---

[1] كتاب الزينة بواسطة النهج الأسمى (٨٤/٣).

[2] تيسير الكريم الرحمن.

[3] النهج الأسمى (١٠٨/٢).

وقالوا: هو السيد ، والذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقهِ ، وهو المستغني عن كل أحدٍ بذاتهِ ، وهو الكامل الذي لا عيبَ فيه " وهو الذي ينتهي إليه السؤدد.

وهذه الأقوال كلها صحيحة داخله في عموم معنى الصمد، فالصمدْ عام لذلك كله.

وبذلك ترجع حقيقة الصمدانية في حق الله تعالى: « إلى قيامه بذاته و استغنائه عن غيره و احتياج لك شيء إليه فهي صفةٌ ذاتيةٌ له سبحانه و تعالى »[1].

فكل المخلوقات تصمد إليه بحوائجها.. الحيتان في البحرِ تصمدُ إليه، الطيرُ في السماء تَصمدْ إليه، الحجر يصمدْ إليه، الشجر يصمدْ إليه، الماء يصمدْ إليه، حتى البهائم تصمدْ إليه.

« بكى أحد العباد حين رأى بهيمةً تعسرت ولادتها و أعترض جنينها في بطنها. وهي بهيمة لا تعرف أن تشتكي و لا تنطق و لا تتأوه و لكنها رفعت عينيها إلى السماء و ذرفت دموعها من عينيها.. صمدت لربها، فبكى العابد و قال: حتى البهائم صمدت و نحن لم نصمدْ »[2].

✧ يأتي السؤال المهم الذي يطرح نفسه علينا: كيف نصمد ؟

وقفة مع تربية النفس على تحقيق عبودية الصمدية لله تعالى.

☆ **ركيزة هذه العبوديةُ دوام الافتقارِ للحيِ القيومِ مع كل الأنفاس** : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراءُ إلى الله و الله هو الغني الحميد ﴾[3].

هذا الافتقار يجعلك تقطعُ من قلبكَ كل أحدٍ سوى الله ، لأن كل ما سوى الله فهو مخلوق.. و ما دام أنه مخلوق فمن صفاته الضعفُ والعجز والنقص والزوال .. فمن كانت هذه صفاته فليس من الحكمةِ إذاً أن تصمَد إليه في حوائجك و نوازلك.

☆ **علمك بصفات ربك** .. فكلما كنتَ بصفاتِ ربكَ أعلم كلما كنت له أعبدْ و إليهِ أفقرْ و أذلْ و أطوع فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق ، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام .. و من عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة ، و من عرف ربه بالعلم التام و الحكمة عرف نفسه بالجهل.

فأكمل الخلق عبوديةً أعظمُهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجتهِ لربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، و لهذا كان من دعائه ﷺ: [أصلح لي شأني كله و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين و لا إلى أحدٍ من خلقك] [4].

---

[1] النهج الأسمى (٢/١٠٢).

[2] القصة نقلاً عن شرح الشيخ (خلف العنزي) شرح أسماء الله الحسنى في دورة ابن باز العلمية التي أقيمت في جدة عام ١٤٢٥هـ.
في دورة ابن باز العلمية التي أقيمت في جدة (١٤٢٥ ه).

[3] فاطر (١٥).

[4] رواه البخاري في الأدب المفرد.

- فالله عز وجل لا غِنى لك عنهُ طرفةَ عين ، وكل شيءٍ أردتَ تحصيلهُ فاجعلْ الله لك صمداً تقصدهُ..

وإياكَ إياكَ أن تحُط َرحالك عن أحد..

وأن تلتفتَ بقلبكَ إلى أحد..

أو أن تتوكل على أحـــد..

بل أجعله وحده مطلوبكَ و غايتكَ و مقصودك فهو أعلى ما ترجو و أعظمُ ما تريد فإملاء قلبك به جل جلاله . ﴿ والله الغني وأنتم الفقراء ﴾[1] .

☆ و أعلم أنه ما مِنْ شُعبة من شُعب القلبِ تُعطى لمخلوق إلاّ ويأتي النكدُ و الخذلانُ منها، فالعبدُ يُبتلى بما استغنى به.

☆ ثم قارن بين قرب الله منك و قرب المخلوقين، (فكل أحدٍ هو بعيدٌ عنك مهما كان قريباً إذا قارنتَ قُربه بقربِ الله ، فاللهُ أقربُ إليكَ من نفسكَ و أقربُ إليك من حبلِ الوريد).

وقد وصَفَ نفسهُ جل جلاله في كتابه وفي سنة رسولهﷺ أنه ﴿ قريب ﴾ .

قال تعالى: ﴿ وإذا سألكَ عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعان . . ﴾[2] .

وثبتَ في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفرٍ فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: [أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدْعون أصمَّ و لا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقربُ إلى أحدكم من عنُقُ راحلته].

فهو قريبٌ من كل أحد ، مجيبٌ إجابة عامةً للداعين مهما كانوا ، وأينما كانوا وعلى أي حالٍ كانوا ، وهو ﴿ المجيب ﴾ وهو المجيبُ إجابةً خاصة للمستجيبين لهُ المنقادينَ لشرعه..

وهو ﴿ المجيب ﴾ أيضاً للمُضطرين ومن أنقطع رجاؤهم من المخلوقين ، و قويَ تعلقهم به طمعاً و رجاءً و خوفاً "[3]... **فلماذا نصمدُ للبعيد و نترك لمن هو منا قريب ؟؟**

☆ و قارن أيضاً بين طلبك من المخلوقين و طلبك من الخالق..

فالطلب من المخلوق يظل ثقيلاً و صعباً مهما كان هذا المخلوق كريماً ومحسنا..ً فكثرة الطلب منه والإلحاح عليه قد توقع في نفسه الملل والسآمة منك.

---

[1] محمد ٣٨

[2] البقرة (١٨٦).

[3] تفسير الكريم بواسطة المنهج الأسمى (٢/٢٠٢).

بينما كثرة الطلب من الخالق والإلحاحِ عليه تُدخلكَ زُمرة المحبوبية .. فالله يحب الملحين بالدعاء

لا تسأل بني آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله و بني آدم حين يُسأل يُغضبُ

☆ ثم اجمع مع حبهِ جل جلاله لمن يسأله ويلح عليه حياؤه من ردّ من يدعوه ويطلبه **قال ﷺ**: [إن الله حيّيٌ كريم يستحي من عبدهِ إذا رفعَ يديه إليه أن يرُدهما صِفْراً] [١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « حياءُ الرب تعالى من عبدهِ نوعٌ لا تُدركهُ الأفهام ، ولا تكيّفه العقول فإنه حياء كرم و برٌ و جُودْ ، فيستحي سبحانه أن يمدَّ أحدٌ يديه إليه سائلاً مُتذللاً أن يردهما خائبتين خاليتين »... **فكيف إذاً لا تصمَدْ إليه ؟**

☆ ثم تأمل كيف أن الله تبارك وتعالى غنيٌ عن عباده و مع ذلك فهو محسنٌ إليهم رحيمٌ بهم و هذا من كمال غناه و كرمه و رحمته.

أما العباد فإنهم يحسنون إلى بعضهم البعض لتعلُّق مصالحهم بذلك إما عاجلاً أو إما آجلاً .

« فالمخلوق لا يقصد منفعتكَ بالقصد الأول ، بل إنما يقصدُ انتفاعه بك ، و الرب تعالى إنما يريدُ نفعك لا انتفاعه بك .. وذلك منفعة محضة لك خالصةً من المضرة ، بخلافِ إرادةِ المخلوق نفعك فإنه قد يكون فيه مضرةً عليك و لو بتحمل منـتِه ».. **قال تعالى**: ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ [٢] .

☆ أن العبد المخلوق لا يعلمُ مصلحتكَ حتى يُعرِّفه الله تعالى إياها ، و لا يقدر على تحصيلها لك حتى يقدّره الله تعالى عليها، ولا يريدُ ذلك حتى يخلق الله فيه إرادةً ومشيئة فعاد الأمرُ كله لمن ابتدأ منه، و هو الذي بيده الخير كله و إليه يرجع الأمر كله... **فلماذا تتوجه القلوب و تصمد لغيره ؟**

☆ أن غالب الخلق إنما يريدون قضاء حاجاتهم منك و إنْ أضرَّ ذلك بدينك ودنياك، فهم إنما غرضهم قضاء حوائجهم و لو بمضرتك، و الرب تبارك و تعالى إنما يريد لك ، ويريدُ الإحسان إليك لك لا لِمنفعتهِ ، ويريدُ دفعَ الضرر عنك ، **فيكف تُعلّق أملك ورجاءك وخوفك بغيره ؟**

---

[١] صحيح الترغيب (٢/ ١٣٥)
[٢] الإنسان (٩)

وجماعُ هذا أن تعلم :

[أن الخلقَ كلهم لو اجتمعوا على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا كلهم على أن يضروكَ بشيءٍ لم يضروك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله تعالى عليك][1].

إذاً هذه المعاني إن فهمتها وعقلتها وأدركت أبعادها تُربيكَ على الصمدية لله تعالى في صغير الأمر و كبيره..

قال ابن سعدي رحمه الله في قول ﴿ اللهُ الصمد ﴾ : « أي المقصود في جميع الحوائج فأهل العالم العلوي والسفلي مُتقرون إليه غاية الإفتقار يسألونه حوائجهم ويرغبون إليه في مهمائهم ».

وقيلَ عن رجلٍ من بني اسرائيل : أن له صنماً يعبدهُ منذ ثمانون عاماً فمرِضَ له ولد ، فكان يطوفُ بصنمهِ ويقول: ياصنم اشفِ لي ولدي ، ويُكررها وما شُفي الولد ، وأخطأ ذات مرةٍ فقال: يا صمد اشفِ ولدي فشفاه الله .. فقالت الملائكة: يارب عبدك مُشرك لا يدعوك وإنما يدعو صنماً يعبدهُ من دونك ، **فقال الله عزوجل:** " وهل في الوجودِ صمدٌ غيري "[2]..

انظر وتأمل إذا كان الله استجاب لكافرٍ قد أخطأ بلسانهِ و لم يقُلها وهو صادقٌ معتقداً بها ، ومع ذلك أجابَ الله صمودهُ ، فما بالكَ بمن توجه إلى الله بقلبهِ وقالبهِ مُخلصاً مضطراً ونادى وقال: يا صمدْ..فهل يردهُ الله ؟ مستحيلٌ أن يرده الله .. فمن كانَ لله كان الله له ، والله عزوجل لا يُخيّبُ عبداً أحسنَ ظنه وصمَدَ إليه وفزِعَ إليه، وبثَ شكواه وحاجتهُ إليه.

لكننا فقط إنما نحتاجُ إلى يقين.. فنحنُ ما أُوتينا إلاَّ من قلة يقيننا ومن فسادِ قلوبنا .. ما ضرَّنا إلاَّ عدم معرفتنا بربنا ، وعدم ثقتنا به.

فلو أننا عرفنا ربنا حق المعرفة: لأيقنا بالإجابة ، ولأيقنا بالفرج ، ولأيقنا بالعطاء وبالنصر .. وبِعظيم الخَلفْ وعظيم العِوضْ.. ولكن البلاء فينا ، والمرض فينا ، وفي عجز قلوبنا وفي سوء ظننا بربنا ، **وصَدَقَ ربي إذْ يقول:** ﴿ وما قدروا الله حقَّ قدْرِه ﴾..

- نحنُ نحتاج إلى يقين حتى نثبُتَ بدون زيغ : « فمن كان الله معه فمعهُ الفئةُ التي لا تُغلَب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضلْ » .
- نحنُ نحتاج إلى يقين لأن الكفاية تأتي للعبدِ على قدرِ يقينه : [يا أبا بكر ما ظنُكَ باثنين اللهُ ثالثُهما].
- نحنُ نحتاج إلى يقين لأن من عَظُمَ يقينهُ بربه يسر له الأسباب ، و لم يكِلْهُ إلى نفسِه ولا إلى غيره.

---

[1] حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي ...[النهج الأسمى بتصرف ٢٢٩/٢].
[2] القصة مأخوذة من شرح فضيلة الشيخ . محمد علي الشنقيطي. في تفسيره لسورة الإخلاص.

خرجَ موسى بقومهِ البحرُ أمامهم ، وفرعون وجنوده خلفهم ، فقال قومه: ﴿ إنا لَمُدركون ﴾ ، لا شك ولا ريبَ فأن لم يُهلكنا البحر ، فسيُهلكنا فرعون وجنوده..

ولكن موسى عليه السلام ما تزعْزَعَ يقينُه بربه ، ولا قلَّ ولا نقص .. ردَّ عليهم بعبارة الواثق بمن توكل عليه واستعصم به فقال: ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ ..

أمام هذا اليقين العظيم جاءت الإجابة فورية .. في لحظات .. في طرفةِ عين أصبحَ البحرُ أرضاً يابسة ..!

قال تعالى : ﴿ فاضْرِبْ بعصاكَ البحرَ فانفلَقَ فكانَ كلُّ فرْقٍ كالطودِ العظيم ﴾ .. **بماذا تحوّل، وبماذا تبدّل ؟** بالثقة بالله ، باليقين بالله ، بقوة العقيدة بالله ..

قال ﷺ :[القلوبُ أوعية بعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتُم الله عزوجل فسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيبُ لعبدٍ دعاه عن ظهرِ قلبٍ غافل][1].

انظر لزكريا عليه السلام لّما دخلَ المحرابَ على مريم ورأى الرزق عندها وهو لم يُقدمهُ لها : ﴿ قال يا مريمُ أنَّى لكِ هذا . . ﴾ فأجابتهُ : ﴿ قالت هو من عِند الله إن الله يرزقُ من يشاء بغير حساب ﴾[2].

هذه العبارة التي قالتها مريم : ﴿ إن الله يرزقُ من يشاء بغير حساب ﴾ أطمَعَتْ زكريا في ربه .. زادتْ يقينه:

بأن الله يُعطي بغيرِ حساب..

وأن الله يُعطي بدون أسباب..

وأن الله يُعطي هبةً من عندهِ وإن عزتْ الأسباب..أو فُقِدتْ الأسباب..

فلمَّا عظُمَ يقينهُ ، وزادَ طلبَ ولداً بالرغم أنه لا يملك مؤهلات هذا الطلب ، فهو كبيرٌ في السن ، وامرأتهُ عاقر لا يمكن أن تنجبَ في المنطق البشري القائم على الأسباب والعادات.

وهذا قِمة العجز في الأسباب ، ومع ذلك دعا ربهُ قائلاً: ﴿ ربِ هب لي من لدُنكَ ذرية طيبةً إنك سميعُ الدعاء ﴾ . .لغى كل الأسباب ، وقطعَ نظرهُ في كل الأسباب ، ووضعَ أملهُ كلهُ في الله .. واستوهبَ ربه ، *والهبة*: عطاءٌ من الله بلا مُقابل .. فانظر كيفَ جاءت الإجابة ..!..**قال تعالى** : ﴿ فنادتهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يصلي في المحراب أن الله يُبشرُكَ بيحيى . . . ﴾، لم تنتظرهُ الملائكة حتى ينتهي من صلاتِهِ ، ويخرج من محرابه

---

[1] صحيح الترغيب (١٦٥٢/٢).

[2] آل عمران.

بل بشَّرتهُ وهو مازالَ قائمٌ فيه ..!!

لتعلــمَ يقيناً ⇦ : ﴿ أن الله غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون ﴾ ..

وأن الله إن فتحَ لك باب رحمة فلا يستطيع كائنٌ من كان من البشر أن يُغلِقهُ عليك..

وأن العطاء إن جاء من عند الله فلا تسأل عنه لأنك لن تُدركَ سعتَهُ وعظمتهُ وقدره : ﴿ إن هذا لرزقُنا ماله من نفاد ﴾ ..فهذا زكريا عليه السلام بعدَ أن وهبهُ الولد أفاضَ عليه بنعمةٍ أخرى وهي تسميته ؛ فإن كان كل الآباء يُسمون أبناءهم فإن الله تعالى قد سمَّاهُ و كان أول إنسان يحمل هذا الاسم فلم يُسمَّ به أحدٌ من قبل:{ لم نجعلْ له من قبلُ سمياً ﴾ ..

ثم تأمل اسم "**يحي**" الذي اختاره الله عزوجل وكأنه يُشير أن هذا المولود لا بد أن يحيا حياةً متميزة، **وقـــد قال بعض المفسرون** :" إنه اسمٌ مشتقٌ من الحياة ، فهو حيٌ في قلبه ، وحيٌ في روحهِ وإيمانهِ ، إذا لم تُمـــت المعاصي والذنوب قلبه كما أماتت كثيراً من ولد آدم .. حيٌ لأن الله أحيا به رحِم أمه .. وحيٌ لأن الله أحيا به الناس بالهدى ..

ومن ثَمَّ يُقتل هذا النبي شهيداً .. وهو بالشهادةِ أيضاً يصير حياً فكأنه يحي دائماً ، فالشهداء أحياءٌ عند ربهم يرزقون ..[1]

هذه القصة تعلمك درساً عظيماً في اليقين بالله وتقوي به عبودية الصمدية في قلبك وتجعلك تعيش مع تلـــك المقولة بفهمٍ دقيق ، قيل في الحكمة قديماً : « من كان له أب فلا يحملُ هماً »...

فيكف إذاً بمن له رب ؟ السماء سماؤه والأرض أرضهُ وما بينهما في قبضتهِ ..

فيكف إذاً بمن له ركناً شديداً يأوي إليه..

فيكف إذاً بمن له رباً صمداً يقصدهُ وينطرحُ بين يديه .. **هل يحملُ هماً ؟؟؟**

هل يُشرِّقُ ويُغرب أو يظلُ يدور حول نفسه كلما استصعبَ عليه أمر أو أُغلِقَ عليه باب ؟

من فَهِمَ معنى اسم الله ﴿ الصمد ﴾ وعرفَ حقيقة هذه الصمدية سيختصر الطريق على نفســهِ كـــثيراً .. وسيجعل الله عزوجل قِبلَة قلبه ..وسيجعلهُ همه وطلُبهُ ورغبتهُ ومقصوده وهذا التوكل هو من أرجح المكاسب للعبد ، فهو كسبٌ دنيوي في غاية النفاسة .. وكسبٌ أخروي غايةً في العلو والارتفاع..

لماذا هو أرجح المكاسب ؟؟

---

[1] جمعاً من كتاب قصص القرآن للدكتور صلاح الخالدي (١٣٠/٣). وبين خواطر الشيخ الشعراوي في تفسير سورة آل عمران (١٤٦٠/١٨).

أعظمُ الدلائل التي تُشير على تحقيق التوحيد هو دعاء الله في كل آنٍ وفي كل حين ، دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .. دعاءٌ بالحالِ ودعاءٌ بالمقال..

فالعبدُ إذا تحقق وتيقنَ أن الله قادرٌ على كل شيء فإنه يكثر ويُلِحُ في دعائه .. وكلما ضَعُفَ يقينه قلَّ دعاؤه ، وقلَّ إلحاحُهُ وقلَّ سؤالهُ لربه.

وإذا كانت الجنة تُنال بالتوحيد فمن باب أولى غايات الدنيا وأماني الدنيا مهما كانت ، ومهما تعددت فبتوحيد تتحقق الغايات..

ما من عبدٍ صادقٌ في توحيده ، وصادقٌ في ذُلِّهِ ، وانكساره و انطراحه بين يدي ربه ، وصادقٌ في يقينه ولَجأهِ وحسن ظنه ثم يخذله ربه أو يُخيّبهُ حاشاه جل جلاله..فمن صدَقَ مع الله صَدَقَهُ الله..

يقول يوسف بن اسباط: " ما صَدَقَ الله عبدٌ إلاَّ صنَعَ له " ، بمعنى يسَّر الله له مطلوبه..

بلْ إن هذا العبد الصادق لو أطبقت عليه السموات والأرض بكل ما فيها سيجعل الله له من بينها فرجاً ومخرجاً..

فإن كنت تريدُ أن تُشاهد نموذجاً حياً أمامك مع عبدٍ أُطبِقت عليه الأبواب وأُغلِقت فعِشْ مع كعب بن مالك ﵁ في سورة التوبة بعد عودة رسول الله من غزوة تبوك التي تخلَّف عنها كعب فهجره الرسول ﷺ وصحابتهُ وكل أهل المدينة ، لا أحد يُكلمهُ بأمرٍ من رسول الله ﷺ ..

ثم جاءه الفرج بأكبر وأعظم صورة ، يقول مالك عن نفسه: « فآتي وأسلمَ على رسول الله و لم أدرِ أحَـرَكَ شفتيه بالسلام أمل لا ، وإذا كُنتُ أُصلي نَظَرَ إليَّ بعينيه "يعني رسول الله" فإذا نظرتُ إليه أعرض ، يَمُر على ابن عمه أبا قتادة ﵁ فيسلِّم عليه فلا يردُ عليه السلام طاعةً لله ورسوله وكان أبو قتادة من أحب الناس إليه بكى ﵁ وأخذَ يلحقُ بابن عمه ويقول : أنشُدكَ الله هل تعلم أني أبغضُ الله ورسوله ؟ فسكتَ ابن عمه و لم يُجب ، أعادها عليه ثانيةً فسكت ، ثم أعادها ثالثةً ، فقال : الله أعلم .. فرجعَ كعب بن مالك بدموعهِ وضيقَ نفسه وما لبثَ إلا وابتُليَ ببلاءٍ عظيم فوق هذا البلاء الذي هو فيه .. تأتيه رسالة من ملك الروم : "بلغنا أن صاحبك قد جفاكَ فالحقْ بنا نواسِك: .. فيقول كعب: فقلتُ هذا من البلاء ، فأخذَ الورقة إلى التنور وأحرقها ، أمام كل هذا الألم والعناء النفسي والضيق الذي وصفهُ الله عزوجل في كتابه : ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ ، الأرضُ على سِعتِها ومروجها وسهولها ضاقت عليه وعلى صاحبيه ، واجتمع ضيقها مع ضيق صدورهم عليهم وياله من ضيق ؟؟ حتى إن ضيقَ المكان أحياناً يهون أمام ضيق الصدر وإطباقه على صاحبه !! فأين سيفرُ الإنسان من صدرهِ الذي بين جنبيه؟

لكن كعب بن مالك نجحَ في الإبتلاء ، قدَّم الله على مُغريات الدنيا ، لَجأ إلى الله وانطرحَ بين يديه ينتظرُ الفرجَ من عندهِ ..

- فما هي إلاّ ليالي معدودات بعد كل هذا الضيق ، وبعد كل هذا الإغلاق فإذا بالمنادي ينادي يا كعب بن مالك أبشر .. فقد فرَّج اللهُ عنك ..

أبشر .. فقد تاب اللهُ عليك..

أبشر .. فقد استجابَ دُعاءك ..

لقد كان العطاء والفرج فوق ما يتصور كعب ﵁ ، وفوق ما يتخيل» ..

فالعبدُ الفقير الذي نصَبَ فقرهُ بين عينيه نفسُه عندهُ أصغر وأصغر من أن يُنزَّل فيها قرآناً يُتلى كما قالت هذا السيدة عائشة ﵂ حينما نزلت براءهًا بوحيٌ من السماء ، ولكنه عطاء الله ، ونصر الله ، وفرج الله ..!

ومن أتقنَ عبودية الافتقار وصدْق الإنطراح والصمدية ، وداومَ عليها وأكثرَ من طرْق باب سيدهِ ، ليس فقط يجعلُ له فرجاً ومخرجاً بل يجعلُ الله فرجهُ من نفس الطريق الذي أُغلِقَ عليه ، وعلى يد نفس الأشخاص الذين دبَّروا له أو عارضوهُ أو كادوا له ..

- إخوة يوسف ﵇ أرادوا التخلص من أخيهم حسداً وخوفاً من علو مكانته عند أبيهم ، فدبَّروا له تلك المكيدة ، فجعل الله تدبيرهم الذي دبروه هو بذاتهِ السبب والطريق الذي أوصلهُ لعزيزِ مصر ، وعلو مكانته عنده ..

فتأمل وتدبر لِتعلَمَ أن لكَ رباً عظيماً قادراً ، قوياً ، علياً .. له علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر .. يفعلُ ما يشاء .. يحكمُ ما يريد .. لا يُنازِعهُ أحدٌ في سُلطانهِ .. ولا يُعجزهُ شيء .. إنما إذا أرادَ شيئاً أن يقول له كن فيكون..!

فسبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد لا مثيلَ له ولا ندَّ له ولا نظيرَ ولا صاحبةً ولا ولد ولا شريك.. ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير ﴾ ..

طريقُكَ لتحصيل هذا اليقين : أن تستحضِرَ صفات الكمال التي وصَفَ الله بها نفسهُ في كتابهِ ، ثم تُرددها على لسانك وفي دعائك كثيراً مع كثرةِ تردادها وحضور معانيها يزيدُ يقينُكَ بربك ..

فعلى سبيل المثال:

يارب أنت قُلتَ وقولكَ الحق :﴿ والله يفعلُ ما يريد ﴾ ..

وأنت قلت وقولك الحق: ﴿ والله على كل شيءٍ قدير ﴾ . .

وأنت قلت : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ..

يا من جمعتَ بين يوسفَ ويعقوب.. ويا من رددتَ موسى إلى أُمهِ..

يا من جعلتَ النار برداً وسلاماً على إبراهيم..

يا من لا يُعجزهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء ..

يا من لا يتعاظمُه شيءٌ أن يُعطيه.. وهكذا..

هذا الاستحضار لصفات الله والدعاء بها يُوصلكَ إلى استكانة القلب ، وخضوعه ويقينه..

والعاجزُ حقيقةً من لا يجدُ كلمات يُثني بها على ربه ، ويُعظِّمُ بها ربه ، ويدعو بها ربه..!

واعلم أنك مُتعبدٌ بالدعاء ، وأن الدعاء عبوديةٌ عظيمة وهو مفتاحُ كل خير ، **قال ابن القيم** رحمه الله: «وكُلُ خيرٍ فأصلهُ توفيقُ الله للعبد ، ومفتاحه الدعاء ، فمتى أُعطيَ العبدُ هذا المفتاح فقد أرادَ أن يفتح له ومن أضلَّه عن المفتاح بقيَ باب الخير مرتجاً دونه »..

وتنبيه لأمرٍ مهم في هذه العبودية: قالهُ وأكدَ عليه أهل العلم رحمهم الله.. **يقول ابن سعدي** في الفتاوى :

«إنه ينبغي لمن دعا ربه في أمرٍ أن تقتصِرْ نيته فقط على حصول مطلوبه الذي دعا من أجله ،بل يقصد بدعائه التقرُب إلى الله بالدعاء ، فيكون بذلك على يقين من نفع دعائه سواء أُعطيَ أو لم يُعطى فمن قصَدَ في دعائهِ التقرب لله والخضوع له ، وحصول مطلوبه فهو أكمل بكثير ممن لا يقصد إلاَّ حصول مطلوبه فقط»[1] .

****

---

[1] الفتاوى ص٤٠ .

المعوذتان

فضلها وأهميتها:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ : ألم تر آيات أُنزلت الليلة ، لم يُر مثلهن ؟ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾].

وفي رواية لأبي داوود قال: [بينما أسيرُ مع رسول الله ﷺ بين (الجحفة) و (الأبواء) إذ غشيتْنا ريحٌ وظلمةٌ شديدة ، فجعلَ رسول الله ﷺ يتعوذ بـ " ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ويقول: يا عقبة ! تعوّذ بهما ، فما تعوّذ متعوّذٌ بمثلهما قال: وسمعتهُ يؤمنا بهما في الصلاة][1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:[كان النبي ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنس حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذَ بهما وترك ما سواهما].[2]

وجاء في صحيح الترمذي أيضاً في فضل المعوذتين : [من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يُمسي كفته من كل شيء].

وعن عائشة رضي الله عنها [أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى من يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عليه بيده رجاء بركتها][3].

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد: « وأن حاجة العبدُ إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظمُ من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس ».

المقصد العام من السورتين:

الوصيةُ بالاعتصام بالله عزوجل والتعوذ به من الشرور كلها الظاهرة والباطنة..

إذْ أن الله سبحانه خلق هذا الكون وفيه خيرٌ وفيه شر ، والشرور كثيرة : شرورٌ ظاهرة ، وشرورٌ خفية، وشرورٌ مستقبلية.. وفي المقابل الإنسان ضعيفٌ من كل وجه يحتاج إلى من يحميه ، ويحفظه ، ويعصمهُ .. يحتاجُ إلى من يلجأ إليه عند المخاوف والمفازع ، ولا عِصمة للمسلم ولا حِفظ له إلاَّ أن يستعيذ بربه ويفرّ إليه..

---

[1] صحيح الترغيب (٢/٢٠٠).
[2] أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح.
[3] رواه البخاري ومسلم .

« فالمستعيذ مستترٌ بمعاذه ، متمسكٌ به ، معتصمٌ به ، قد استمسك قلبهُ به ، ولزِمهُ كما يلزمُ الوالد أباه، إذا أشهر عليه عدوه سيفاً وقصدهُ به ، فهرب منه ، فعرضَ له أبوه في طريق هربه فإنه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك ، فكذلك العائذ قد هربَ من عدوه الذي يبغي هلاكهُ إلى ربه ومالكهِ وفرَّ إليه وألقى نفسه بين يديه ... » [1].

فكأن هاتين السورتين ⇦ وِردٌ لك من ربك من أجل أن تُحصّن نفسك..**قال تعالى:** ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾.. فهو الذي خَلقَ هذا الخلْق ، وهو الذي يكفيكَ شر ما وُجدَ فيه.

وقد جاء أن من أسماء هاتين السورتين أيضاً [المقشقشتين] ***أي:*** التي تُزيل عنك كل شر ، وكل أذى .. فكلما تكالبتْ عليك المخاوف والشرور ما عليك إلاَّ بهذا المفتاح فهما تعوذٌ عظيم وحِرزٌ كبير..

الفرق بين السورتين:

وإن كان الغرضُ منهما واحدٌ وهو الحِفظ والعِصمة من الشرور ، خاصةً وأنهما نزلتا جملة واحدة مع بعضهما إلاَّ أن بينهما فرق:

فـ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ☜ تعوذٌ بالله من الشرور الظاهرة.

و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ☜ تعوذٌ بالله من الشرور الباطنة والخفية ، والتي أهمها الشيطان الذي هو أساس كل شر .

فمن ابتُلي بالوسوسة والأوهام ، والخواطر والشهوات ، والشُبهات فعليه بسورة الناس فليلزمها.

ومن ابتُلي بالسحر والعين ، والحسد والخوف من شر أي مخلوق مُكلف أو غير مُكلف فعليه بسورة الفلق فليلزمها.

ضابطٌ مهم في الاستعاذة:

حتى يُعيذك الله فلا بُدَّ أن تقرأها وأنت مُستحضرٌ معناها من جهة ، ومُصدقٌ وموقنٌ بها يقيناً تاماً ، ولا شكَ فيه من جهة أخرى..

« وقد نبَّه العلماء – رحمهم الله – إلى أهمية معرفة العبد بمعاني هذه الكلمات ، واستحضاره لدلالتها، وأنه بحسب ما يقوم بقلب العبد من هذه المعرفة والاستحضار يكون له من المزيَّة ، والفضل ما ليسَ لغيره، ويكونُ تأثير هذا الذكرُ فيه أبلغُ من تأثيرهُ في غيره..

---

[1] بدائع الفوائد (٢/٤٢٧).

ومن أتى بهذا الذكر أو بغيره من الأذكار المأثورة دون استحضار منه للمعنى ، و لا تعقّل للدلالة فإنَّ تأثيرهُ الذِكرْ فيه يكون ضعيفاً »[١].

وهذا يعني أنه بمقدار ما قامَ في قلبكَ من الصدْق في طلب الاستعاذة ، واليقين بأن الله سيحفظك بقدْر ما تُكفى وتُعصَمْ ، وتُحفظ وتُصرف عنك الشرور.

⇦ فانظر لأهل السلف وشدة يقينهم بما جاء عن رسول الله ﷺ .. **روى أبو داوود والترمذي** وغيرهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : [ما من عبدٍ يقول في صباحِ كل يوم ومساء كل ليلةٍ بسم الله الذي لا يضرُ مع اسمه شيءٍ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء][٢].

هذا وعدٌ من رسول الله ﷺ أنه إن قال هذا الدعاء سيبقى محفوظاً بإذن الله لا تُصيبهُ مصيبة لا من جهة الأرض ولا من جهة السماء ، **قال القرطبي** رحمه الله : « وهذا خبرٌ صحيح ، وقولٌ صادق علمناهُ دليلاً وتجربةً ، فإني منذ سمعتهُ عملتُ به فلم يضرني شيء إلى أن تركتهُ فلدغتني عقرب بالمدينة ليلاً ، فتفكّرتُ فإذا أنا قد نسيتُ أن أتعوذ بتلك الكلمات »[٣].

وجاء في سنن الترمذي أن أبان بن عثمان – رحمه الله - وهو راوي الحديث عن عثمان ، أنه قد أصابهُ فالج- وهو شللٌ يصيب أحد شقي الجسم – فجعلَ رجلٌ منهم ينظرُ إليه ، فقال له أبان: « ما تنظرْ ؟؟ أمَّا إنّ الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقلهُ يومئذٍ ليمضي الله عليَّ قدرهُ ».

كما ثبتَ في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:[جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله مالقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة ؟ قال: أما لو قلتَ حين أمسيتَ: " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " لم تضرك][٤].

وفي رواية للترمذي : [من قال حين يمسي ثلاثَ مراتٍ : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ، لم يضره حُمَــةٌ تلك الليلة] [٥].

والحُمَـــةُ : لدغةُ كل ذي سمٍّ كالعقرب ونحوه.

ثم أوردَ الترمذي عقب الحديث عن سُهيل بن أبي صالح – أحد رواته – أنه قال: « كان أهلنا تعلّموها، فكانوا يقولونها كلَّ ليلةٍ فلُدِغت جاريةٌ منهم فلم تجد لها وجعاً ».

****

---

[١] فقه الأذكار والأدعية (٤٤/١).

[٢] صحيح الجامع.

[٣] فقه الأذكار والأدعية(١٢/١).

[٤] صحيح مسلم (٢٧٠٩).

[٥] سنن الترمذي (٣٦٠٤).

سورة الفلق

﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾

افتتحت السورة بــ ﴿ قُلْ ﴾ وكلمة قُلْ هذه دلَّتْ على أن القرآن من عند الله ، ولو كان من عند محمد ﷺ لَما قال: ﴿ قُلْ ﴾ ، و ﴿ قُلْ ﴾ : فِعل أمر ، والآمرُ هو الله عزوجل والمأمور هو محمدٌ ﷺ .

أعــوذ ⇦ الاستعاذةُ عموماً : الالتجاء والاعتصام والتحرز، ***والمعنى*** : أي: ألوذ وأعتمدُ وأتوكـــلُ وألجـــأُ واعتصمُ برب الفلق.

والفلَقْ ⇦ ***ترجع إلى معاني كثيرة خلاصتها معنيين:***

" قل أعوذ برب كل شيء قد انفلق "

وهذا يشمل الخلقُ كله ، فاللهُ هو الذي فلَــقَ الأمور كلها ، وأخرجها وأنشأها . فحــكمةُ الله في الكون أن يكون كل الخلْق ناتجٌ عن الفلْق.

فالله عزوجل هو الذي فلَقَ الطين وأخرج مــنه آدم.

وفلقَ الحب وأخرج منه النبات، وفلقَ النوى وأخرج منه النخيل، فلق البيضة فأخرج الطير ، وفلَقَ البويضة وأخرج منها الكائن الحي..

﴿ فـالقُ الحبِ والنوى . . ﴾ ، ﴿ فـالقُ الإصباحِ . . ﴾

والكونُ كلهُ قد هُيِءَ على نظام الفلْق ، وهــذا من أعجب العجب في عمليات الخلق، فتبارك الله أحسن الخالقين...فيكون رب الفلق أي رب الخلقِ كله..فهو خالقهُ ومالكهُ ، ومُنشؤه ، وهو أعلمُ بكل شرٍ فيه..

ولَّما كان الفلْق قد شمل المكان ، والزمان ، والذوات والأشياء كان مُقدماً على الخلْق.

" الصُبح "

فالصُبحُ ينفلقُ منه ضوء النهار، وكأن النهار يفلقُ الليل ويدخل فيه، والليل يدخلُ في النهار ، ويحصلُ بينهما فلْق. كما **قال تعالى**: ﴿ يُولِجُ الليل في النهار ويولِجُ النهار في الليل ﴾ .. ويدخلُ في ذلك الزمان كلُه.

ومن لطائف القرآن:

أنه قد جاء التعبير بالصبح ☜ وهذا يدلُ على أنه هذه السورة هي صبحٌ لكل من أظلمتْ عليه الدنيا بشرورها.

والإنسانُ بطبعه وفطرتهِ يأمــن ويذهب عنه الخوف والفزع إذا أصبحْ ، فأمــر الله تعالى عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظُلمة، ويزيلها ، ويقهر عسكرها وجيشها فبظهور النور يأوي كل خبيث ، وكل مفسد وكل لص ، وكل قاطع طريق إلى سرب أو كُن أو غار، وتأوي الهوام إلى أحجرها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالّها..

****

﴿ من شر ما خلق ﴾

ما : اسمٌ موصول ، وهو من ألفاظ العموم يشمل جميع ما خلقه الله .

ما هو الشر و ماهي حقيقته؟

الشر يُقالُ على شيئين: على الألم ، وعلى ما يُفضي إليه . فالشرور هي الآلام وأسبابها.

وتنقسم هذه الشرور إلى قسمين

الشر الأول

ما يكون من عمل الإنسان وكسبه من معاصي وذنوب، وفسق، فيستعيذ بالله من شرها، ومن مغبّتِها عليه، وأن لا يُعاقب عليها، فإن لكل ذنبٍ مغبّة،ولكل ذنب أثر: ﴿ ومن يعمل سوءً يُجزَ به ﴾ .

الشر الثاني

هو ما يقع عليه من غيره سواء من مكلف كالكفار واللصوص ونحوهم، أو من غير مكلف : كالهوام ، أو السباع والحرائق، الزلازل ، والبراكين ونحوها..

– فيُصبح الإنسان وقد استعاذ من كل شيء، سواء الشرور التي تقع في الدين ، أو التي تقع في الدنيا، فأنت تستعيذ من شرِ كُل مخلوقٍ فيه شر.

فكأنك تقول: " أتعوذ بك يارب أن يُصيبني أذاها ".. **كما وردَ عن رسول الله** ﷺ أنه كان يقول:[أعوذُ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزها بَرّ ولا فاجر، من شر ما خلقَ وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزلُ من السماءِ وما يعرُجُ فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتنِ الليل والنهار ، ومن شر كل طارقٍ إلاَّ طارقاً يطرُق بخير ... يارحمن][1] .

وهذا عموم ثم يأتي التخصيص بعده لبيان أهميته:

بدأت السورة بالشر العام الذي لا حدَّ له ، ثم جاء التخصيص بثلاثة أمور هي من أعظم الشرور على الإنسان وأكثرها التصاقاً ومساساً به ⇦ " غاسقٍ إذا وقب – النفاثات في العقد – حاسدٍ إذا حسد ".

* * * *

---

[1] رواه أحمد في مسنده (٣/٤١٩) وهو صحيح.

﴿ ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وقب ﴾

الغسقُ في اللغة يُطلق على معنيين

الظُلمة

يُقال : غسقَ الليل ، وأغسقَ إذا أظلم ومــــنه قول الله تعالى : ﴿ أقـمِ الصلاة لدلوك الشـمس إلى غسقِ الليل ﴾[1] .

المنصبّ والمنكب

يُقال : غسق اللبن من الضرع غسقاً إذا انكبَّ وانصبَّ انصباباً قوياً.

وأكثر المُفسرين على أن المقصود بالغاسق : الليل حين يُظلمُ ويشتد سوادهُ ، وينصبُ على الجبال فيغطيها.

وقفة:

أنت ترى إذا أسدل الليل ستوره ، وانتشرت ظلمتهُ فكم يكون فيه من الشرور، أكثر المعاصي تقعُ في الليل، أكثرُ الزنا يقعُ في الليل، أهل الفسقِ والمجون ، والقنوات الفضائية يعرضون بضاعتهم بالليل، الدواب والسباع والوحوش ، والجن ، والشياطين تنتشر بالليل..

فالظلامُ إذا دَخَل مع الليل فإنه يجمعُ الشرور كلها ، فكأنك تقول:" اللهم أعذني من شر ما دخَلَ به عليَّ هذا الليل " والمتأمل في هذه الآية يقف على سرٍ عجيب من أسرار القرآن ؟! وهذا ما سيظهر لك بيانه بإذن الله..

🗋 ماهو الوقب ؟

الوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس.

والوقب: هي الكوةُ أو الفتحةُ التي تكون في الجبل أو في الأرض ، فيجتمع فيها الماء أو الحيات أو العقارب أو الهوام ونحوه.. ***وبذلك يكون الوقب*** ☜ كل فتحةٍ يدخل فيها الشيء ويغيب.

☜ وعلى هذا مسام الجلد في جسم الإنسان هي أوقاب، فم الإنسان وقب، أنفه وقب ، أذنيــه ومنخريــه عينيه كلها أوقاب، فقد تدخل الجراثيم والميكروبات ، والسموم الضارة إمَّا عن طريق فتحات جلده أو فمــه أو أنفه، أو أذنيه.. وهي تتسلل للجسم وتدخل فيه بدون أن يراها الإنسان أو يشعر بها..

وجمعاً بين المعاني: فيكون قول الله تعالى: ﴿ من شرِ غاسقٍ إذا وقب ﴾ . .

يمكن أن نفهم منه أن كل شيء مظلم يدخل إلينا عبر أوقاب وفتحات أجسادنا مندفعاً ، منصباً ونحن لا نراه،

---

[1] الإسراء (٧٨).

يكون غاسق.. لذلك تعتبر سورة الفلق آمانٌ بإذن الله من الأمراض والعدوى والأوبئة الضارة التي تحملها الجراثيم والميكروبات.

ويدخل في : ﴿ غاسقٍ إذا وقب ﴾ ..

الجني أيضاً، يعتبر غاسق لاختفائه عن أنظار الناس ، فالناسُ لا تُبصرهُ.. ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ ..

فالجني غاسقٌ ويدخل إلى وقبك في فتحات في داخلك وأنت لا تشعرُ به ، فيصلُ هذا الجني إلى أعماق النفس البشرية فيصل إلى القلب فيوسوس فيه ☜ فيُحدث الأمراض النفسية.
ويصل إلى الدم فيجري فيه ☜ فيُحدث الأمراض العضوية كأمراض الدم ونحوها..

ويدخل في : ﴿ غاسقٍ إذا وقب ﴾ ..

الاستعاذةُ من جميع شرور الآخرة ، **وذلك لما جاء عن عائشة** رضي الله عنها أن النبي ﷺ أخذَ بيدها مرةً فأراها القمر حين طلعَ فقال لها : [يا عائشة تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب]، فسمى النبي ﷺ "القمر" غاسق. فالقمر يأتي في سواد الليل، إذا وقب : إذا اختفى وغاب، وغياب القمر : ذهاب ضوءه ونوره.. وخسوف القمر من أكبر علامات قرب يوم القيامة .. فهذا يدخل فيه أنك تستعيذ بالله من شر ما في الآخرة عندما يكون القمر لا نورَ له ولا ضوء له، وهذا يومٌ يحصلُ في من الشرور مالا يعلمهُ إلاَّ الله ، فشرَّ ذلك اليوم شرٌ عظيم.

- والمؤمن دائمُ الاتصال بالآخرة وليس هدفه فقط أن يحفظ من شرور الدنيا ، فشرور الآخرة أشد، فكأن القارئ لهذه السورة يستعيذُ بالله أيضاً من شرور الآخرة.

☜ وكأننا أمام هذا الإعجاز الذي جُمِعَ في آيةٍ واحدة.. نقف لنُردد قول الله تعالى: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ ..

****

﴿ ومِن شَـرِ النفاثات ـفي العُقَد ﴾

وهذا هو الشر الثاني الذي خصصته الآيات ، وهو من أشد الشرور في الدنيا " شر السحر ".

عن ابن عباس ﷺ قال: [النفاثات في العقد هن السواحر]، ***أي*** : اللاتي يعقدن العُقد وينفثن فيها ..

النفث : هو الهواء الذي يخرج من الفم ومعه ريق.

النفخ : هواءٌ بلا ريق. ***التفل*** : ريقٌ بلا هواء.

فهذه النافثة : تنفثُ برُقى وتعازيم وتعويذات في العُقدة التي يكون فيها شيء من "بدن المسحور إما شعره أو ظفره أو شيء من ملابسهِ ونحوه "، وتستعين بالجن ليؤثر على المسحور.

وعلى هذا ⇦ فالسحرُ له حقيقةٌ وهو يُمرضُ حقيقةً ، ويضُر حقيقة ، ويقتلُ حقيقة..ويؤثر في العقول والقلوب والأبدان.

وحقيقةُ هذا السحر : أنه استخدامٌ للشياطين واستعانةٌ بهم لحصول أمرٍ ما ، ولا يتمّ ذلك إلاَّ بواسطة التقرّب لهذا الشيطان بنوعٍ من أنواعِ العبادة وصرفها له..

لذلك كان السحرُ كفرٌ وشركٌ بالله..**قال تعالى**:﴿ وما يُعلّمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر ﴾ .

وقد خُصص الإناث في قوله ﴿ النفاثات ﴾:

١. لأن الغالب في السحر أن الذي يستخدمه ويقع فيه النساء .

٢. وقد قيل أيضاً أن السحرَ على ألسنة النساء أقوى منهُ على ألسنة الرجال وذلك للعلاقة بين السحر وبين الكيد، فالسحْر كيد والنساء كيدهن أعظم من الرجال.

لذلك لما أرادَ اليهود أن يسحروا رسول الله ﷺ جمعوا الساحرات وهن:"بنات لبيد بن الأعصم اليهودي" فسحرنَ رسول الله ﷺ .

وقد سُحِرَ النبي ﷺ في مشطٍ ومشاطة..

- والمقصود " عدة أسنان من مشطه ﷺ فيها شعره ن أخذها غُلامٌ يهودي كان يخدم الرسول ﷺ وأرسلها لليهود فسحروه..

فكان يُخيل إليه أنه يأتي أهله وهو في الحقيقة لا يأتيهم فكان تأثير السحرُ على بدنه ﷺ ، فأخبرته السيدة عائشة ﵂ بالتغير الذي تراه فيه فقام رسول الله ﷺ من الليل يصلي ، ويستفتي ربه بأمره ، فنزل عليه جبريل ﵇ يخبره بأنه قد سُحِر، وأن هذا السحر قد وُضعَ في بئرٍ دله عليه وقرأ عليه المعوذتين.. فأرسلَ رسول الله

ﷺ من استخرجَ السحر من البئر ، فأخذ يقرأ المعوذتين وكلما قرأ آية كلما انحلت عُقدة من عقد السحر ، فلما أتمها ، انفكت عُقد السحر الذي عُمِلَ له ﷺ ، و لم يُعاتب النبي ﷺ من سحروه لأن الله عزوجل شفاه وعافاه ، فلم يُرِدْ أن ينتقم لنفسه..

- **لذلك قيل:** من سُحِرَ بسحرٍ فيه خمسة عشر عقدة ☜ لو قرأ سورة الفلق وكررها ثلاثاً انحلت عقده..

ومن سُحِرَ بسحرٍ فيه ثمانية عشر عقدة ☜ فلو قرأ بسورة الناس وكررها ثلاثاً انحلت عقده..

ولو جمعنا بين آيات سورة الإخلاص (٤) وآيات سورة الفلق (٥) وآيات سورة الناس (٦) أصبحَ مجموعها:خمسة عشر آية.

ولو أضفنا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ على اعتبار أنها آية قبل كل سورة أصبح المجموع: ثمانية عشرة آية، فلو كررناها ثلاثاً:[١٨×٣= ٥٤].

كان مجموعها أربعاً وخمسين ، وهذا هو أقصى ما تصلُ إليه عُقد الساحر أربعاً وخمسين عقدة ..

لذلك كانت هذه السور الثلاث رُقيةٌ من سحر السحرة وحسد الحاسدين ، ومن هنا تفهم قول رسول الله ﷺ حين قال:[تكفيك كل شيء].

⇦ قد ترد شُبهة في قصة سحر رسول الله ﷺ عند بعض الناس ، فيقول : كيف يُسحر رسول الله ﷺ والله تعالى يقول :﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ..؟! وهل يُعتبر هذا نقصاً في حق رسول الله ﷺ ومؤثراً على تبليغه للوحي ؟

الجواب:

إن تأثير هذا السحر الذي سُحِرَ به رسول الله ﷺ كان على بدنه فقط.. فلم يكن مؤثراً على عِلمِهِ ولا عقلهِ ولا روحهِ ، فهو معصومٌ في تبليغه للوحي ، عصمهُ الله فلا يدخل عليه :

نسيان لقوله تعالى:﴿ سنُقرئك فلا تنسى ﴾ ..

ولا خلط لقوله عزوجل:﴿ علّمهُ شديدُ القوى ﴾ ..

ولا كذب لقوله :﴿ وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى ﴾ ..

فكان عقله وشعوره وتمييزه ﷺ معهُ فيما كان يُحدِّث به الناس من الوحي الذي أوحاه الله إليه، و لم يؤثر على مسألة الوحي لا تشريعاً ، ولا تبليغاً..

وأما **قوله تعالى** :﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ أي أن الله عصمهُ منهم ؛ فلم يستطيعوا قتلهُ ، أو منعه من تبليغ الرسالة ، أو أن يحولوا بينه وبين أداء الأمانة التي كُلِّفَ بها ..

أما ما يُصيب الناس من أنواع البلاء فقد يُصيبه .. فقد جُرِحَ ﷺ في أُحُد ، وجُرِحَ وكُسِرت رُباعيته ، وقذفه أهل الطائف بالحجارة ، وطردوه أهل مكة وضيّقوا عليه ونحو هذا...

ماهو علاج السحر إذا وقعْ ؟؟

١. الاستعانة بالله ، والفرار إليه . . ﴿ وإذا ذكرتَ ربك في القرآن وحده وَلّوا على أدبارهم نفوراً ﴾ .

٢. قراءة سورة البقرة ، فإن السَحَرة لا يتحملونها كما وردَ في الحديث :[لا تستطيعها البطَلَة].

٣. قراءة الآيات التي ذُكر فيها السحر.

٤. أكل سبعَ تمرات من تمر العجوة ، أو تمر المدينة أو أي تمر صباحاً.

٥. قراءة آية الكرسي دُبُر الصلوات ، وصباحاً ومساءً وعند النوم.

٦. الصدقة .. فإن الصدقة تدفعُ البلاء ، والسحرُ من البلاء.

٧. شُرب ألبان الإبل بعد القراءة فيها ، فقد وردَ أن في ألبانها شفاء.

٨. ماء زمزم فهو شفاء سُقم ، وطعامُ طعم.

٩. العسل وخاصةً لمن أكلَ أو شربَ سحراً ، فيملأ بطنه عسلاً قد قُرِيءَ فيه ، لحديث:[عليكم بالشفائين : القرآن والعسل].

١٠. زيت الزيتون فهو مبارك .. أكلهُ والإدهانُ به.

١١. المُحافظة على الوضوء ، فهو سلاحٌ للمؤمن.

١٢. المُحافظة على الصلوات وخاصةً الفجر والعصر ، فإن الله يحفظُ بهما الإنسان.

****

الحسد :

هو مرضٌ من أمراض القلوب ، بل ومن أصعبها ..

وأول ما ظَهَرَ في الجنة حين حسَدَ إبليس آدم ﷺ على ماهو فيه من النعمة والتكريم الذي كرمهُ الله بـه ، فالشيطان هو أول من حسدَ على مر التاريخ. وكل حاسد فيه حظٌ ونسبةٌ من الشيطنة والعياذ بالله.

الحسد هو العين ، والعين هي الحسد ..

ولكن أُطلقَ عليه الحسد من باب فعل القلب لأن الحسد مكانه في القلب..

وأُطلقَ عليه العين من باب النظر أي فعلْ جارحة العين ، ويُسمى (النظرة) .. فيُقال عين الحاسد: لأنه لا يحسد إلاَّ إذا رأى النعمة على المحسود.

والعينُ حق.. وقد قال ﷺ :[العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم].

والحسد نوعان : حسدٌ محمود وحسدٌ مذموم

الحسد المحمود " الغِبطة ":

هو الذي معه محبة للمحسود ، وعدم رغبةٍ في تمني زوال النعمة عنه ؛ بل تتمنى أن يكون لكَ من الخير مثله من غير تمني زوال النعمة.

قال ﷺ :[لا حسدَ إلاَّ في اثنتين : رجلٌ علّمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعهُ جارٌ له فقال: ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتي فلان ، فعملتُ مثل ما يعمل.. ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو يُهلِكهُ في الحق فقال رجل: ليتني أُوتيت مثلَ ما أوتي فلان فعملتُ مثل ما يعمل][1].

وهذا الحسد يُسمى أيضاً المنافسة ، لذلك قال تعالى :﴿ وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون ﴾ ..

والمنافسة: الزيادة في الخير ، والسبقُ فيه مع عدم تمني زوال النعمة عن الآخرين ، وهذا ما كان بين صحابة رسول الله ﷺ .. **فقد قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : " ما سابقت أبابكر في بابٍ من أبواب الخير إلاَّ سبقني فيه،وفي غزوة تبوك قلتُ لأسبقنَّ أبابكر اليوم ..! قال : فعمدتُ إلى مالي فقسمتهُ نصفين ، فجئتُ بنصفهِ إلى النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر ما تركت لأهلك ؟ فقلتُ : تركتُ لهم نصف مالي..

وجاء أبوبكر بمالٍ فقال له رسول الله ﷺ : يا أبابكر ما تركت لأهلك؟ قال: تركتُ لهم الله ورسوله ..

---

[1] رواه البخاري.

وعلى ذلك يكون هذا النوع ليس حسداً من عمرٍ لأبي بكر ؓ ؛ وإنما هو غِبطة من عمرٍ لِما كان فيه أبابكرٍ الصديق ؓ من التوفيق في الإنفاق والعمل الصالح.

أما الحسد المذموم:

فهو المُحرم ، وهو الذي يتمنى فيه زوال النعمة عن غيره ويُحب أن يبقى غيره على حالهِ من الجهل ، أو الفقر أو الضعف أو شتات القلب ، أو قلة الدين .. فهو يتمنى دوام ماهو فيه من نقص أو عيب .. وأشدهُ ماكان بين أكثر الناس محبة ومعرفةً وقرابةً..

كما حصَلَ في شأن يوسف ؑ مع أخوته .. **كما قال تعالى** : ﴿ لا تقصُصْ رؤياكَ على إخوتكَ فيكيدوا لك .. ﴾ .

قال أهل العلم: " الكيدُ هنا هو الحسد ، والحسدُ كيدٌ عظيم ..".

ومعلومٌ أن الحاسد لا يُسمى حاسداً إلاَّ إذا قامَ به الحسد ، كالضارب ، والشاتم ، والقاتل ونحو ذلك..

لذلك جاءت الآية وفيها تقييد : ﴿ من شرِ حاسدٍ إذا حسَد ﴾ ..

وإذا ☜ تقيد الزمن والحينية ، فيحقق الشر منه عند صدور الحسد ..

فالإنسان قد يكون عنده حسد ولكن يُخفيه ولا يترتب عليه أذى بوجهٍ ما ، لا بقلبه ولا بلسانهِ ولا بيده.. بل يجدْ في قلبه شيئاً من ذلك ، ولا يعاجل أخاه إلاَّ بما يُحب الله .. فهذا لا يكادُ يخلو منه أحدٌ إلاَّ من عصمهُ الله..

والمُستعيذُ بالله من شر حاسد النعمة هو مستعيذٌ بولي النِعم ومُوليها ، فكأنه يقول: " يا من أولاني نعمتهُ وأسداها إليّ أنا عائذٌ بك من شر من يريد أن يسلبها علي ، ويُزيلها عني ".. وهو حسبُ من توَكّل عليه ، وكافي مَنْ لجأَ إليه..

*****

مُلحق عن العين والحسد والوقاية منهما

إن غالب أمراض الناس اليوم سببها العين..**لحديث رسول الله** ﷺ:[أكثر مَنْ يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين][1] . **وقوله** ﷺ :[العينُ تُدخل الرجل القبر والجمل القدر][2] .

وقد ورَدَ في مسند الإمام أحمد: [العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم][3] .

هذا الحديث يفيد أن كل إنسان حوله شياطين الجن يتربصون الإيقاع به. فكل إنسان معرض للحسد ولا يكاد أحد يسلم من العين إلاّ من عُصِمْ.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الحسد مرضٌ من أمراض النفس وهو مرضٌ غالبٌ فلا يخلص منه إلاّ القليل من الناس ولهذا يُقال: ما خلا جسدٌ من حسد لكن اللئيم يُبديه والكريم يُخفيه"[4] .

أقسام العين

عينٌ حاسدة

وهي نظرةٌ من حاسد نفسُه خبيثة.

وهذه هي (المُهلكة) التي ينطبق عليها الحديث[العين تُدخل الرجل القبر ..].

وهذا الحسد هو حسد اليهود ومن على شاكلتهمْ (عياذاً بالله).

عين مُعجبة

تحدث بسبب كلمة من غير حاسد سواء كان صديق أو قريب، فينطلق الوصف منه بدون ذكر الله، فتُثير إعجاب الجن الذين يخالطون الإنس، فتعمدْ إلى إيذاء المعيون في جسده وأعضائه أو إيذائه في نفسه بالضيق، بالهم، بالخوف ونحوه.

وتكون مثل هذه العين⇦ مزعجة فقط.

وهي ما ورَدَ في حديث عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف.

قال الحافظ ابن حجر:" إن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المُحب ولو من الرجل الصالح، وإن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة، فيكون بذلك رقية منه".فتح الباري(٢١٥/١٠).

فقد تحدث من أي أحدٍ(الصديق، القريب، الصالح) بوصفٍ صدَرَ منه مرحٍ أو مدح، في حال الجد والهزل.(بدون ذكر الله).

---

[1] حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢١٤/١٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٧٤٧).

[2] أخرجه أبو نعيم في الحلية، والألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٣).

[3] أخرجه أحمد في المسند(٢٠٣/١٠)، قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح(١٠٧/٥). وعلى كُل فمعناه صحيح ولا يخالف حديثاً صحيحاً وتشهدُ له التجربة ويؤيده الواقع. ومشايخنا على هذا المعنى [نقلاً من تعليق د.عبد الله السدحان- كيف تعالج مريضك بالرقية.

[4] كتاب السلوك لابن تيمية (١٢٥/١٠).

⮌ الأمور التي تحفظ الإنسان من العين قبل وقوعها:-

١. **ما جاء في حديث ابن عباس** ﷺ: " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك..."[١].

وحفظُ الله لعبده يتضمن نوعين:

أحدهما : حفظهُ له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنهِ وولدهِ وأهلِه وماله،حفظُه من مكر الأعداء وكيد الطغاة، وحفظه من شر الدواب والسباع والجن والشياطين.

والثاني: حفظ الله لعبده في أمر دينهِ وإيمانه.

وكما قال الإمام ابن الجوزي في كتابه " صيد الخاطر":

" تدبرتُ هذا الحديث فأدهشني وكدتُ أطيش ، ثم قال : فوا أسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة الفهم لمعناه ".

٢. الحرص على الأذكار النبوية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقولها إذا أصبح وإذا أمسى وعند نومه.

٣. الحرص على قراءة آية الكرسي والمعوذات بعد كل صلاة وعند النوم.

٤. الحرص على التعوذات التي جاءت عن النبي ﷺ كما فعل النبي ﷺ مع الحسن والحسين: [أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عينٍ لامة]، [أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق].

٥. ***التبريك*** : فإذا رأى الإنسان ما يعجبُه فإن التبريك من علامات أهل الإيمان وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة عامر بن ربيعة ... "علام يقتلُ أحدكم أخاه، ألا باركتُ".
وجاء في حديث آخر " إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبُه فليدعُ له بالبركة"[٢].

٦. ستر محاسِن مَنْ يُخاف عليه العين.

٧. التوبة من الذنوب لأنها تُسلِّط على الإنسان أعداءه (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير..)[٣].

٨. الصدقة والإحسان ما أمكن فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد.

---

[١] رواه أحمد الترمذي والبيهقي في الإيمان.
[٢] صحيح ابن ماجة(٢/٢٦٥).
[٣] الشورى (٣٠).

☐ كيف تُدفع العين؟

الرقية الشرعية

الاستغسال

➢ الطريقة الأولى : الرقية الشرعية:

☐ متى تنفع الرُقية؟

العلاج بالرُقى النبوية الثانية من أنفع الأدوية، ولكن هذه الدعوات والأذكار والتعوذات التي يُستشفى بها ويُرقى بها هي في نفسها نافعةٌ شافيةٌ ولكن تستدعي قوة الفاعِل وتأثيره وقبول المُنفعل.

لذلك فإن العلاج بالرُقى يكون بأمرين:-

من جِهة المريض ⇦ يكون بقوة نفسهِ وصدقِ توجهه إلى الله تعالى، واعتقادهِ الجازم بأن القرآن شفاءٌ ورحمة من جميع الأدواء القلبية والبدنية، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان.

فإن هذا نوع مُحاربة والمُحارب لا يتم له الانتصار على عدوِّه إلاَّ بأمرين:

أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً.

وأن يكون الساعد قوياً.

فمتى تخلَّف أحدهما لم يغنِ السلاحُ كثيراً، فكيف إذا عُدِمَ الأمران جميعاً؟ القلبُ خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاحَ له.

ومن جهة المعالج أيضاً بالقرآن والسنة ⇦ أن يكون فيه هذان الأمران أيضاً[1].

تنبيهات حول الرُقى:

أ. أن الشارِع كَرِهَ لنا أن نطلب من الغير أن يُرقينا، وجَعلَ هذا الطلب فيه نقصُ توكل كما وردَ في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

ب. أن نُصحَك لنفسِكَ أكثر من نصح غيرك لك." والرُقية تُبنى على الاعتقاد الجازم بالله عز وجل أنه هو الذي خلق المرض وهو القادرُ على شفائه".

---

[1] انظر زاد المعاد (٦٨/٤) بواسطة العلاج بالرُقى للقحطاني (٨٢).

فمهما كان الذي سيرقيك في صلاحه و استقامته فلن يكون مثل نصحك لنفسك، ونبينا صلى الله عليه وسلم رقى نفسه و لم يطلب من غيره، وحين رقاه جبريل عليه السلام لم يكن بطلبٍ من النبي عليه الصلاة والسلام وإنما من جبريل نفسه.

ج. ولا يُشترط في الرقية أن يكون الشخصُ عالماً أو صالحاً في درجة الصلاح ولكن الذي يشترط أن تكون خاليةً من الشرك، وأن تكون باعتقاد جازم بالله تعالى وبقدرته على إزالة الأوجاع والأمراض.

د. لا بُد من اليقين وحسن الظن بالله عزوجل أثناء الرقية الشرعية وأن لا يقول أُجرِب كلام الله.

⬅ طُرق الرقية التي وردت في الأحاديث:

١. **النَفْثْ**:أن تنفث على نفسك، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: [أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات...."[1].

والنفث: هو نفخٌ لطيفٌ بلا ريق، قال النووي: "وقد أجمعوا على جوازه واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم "[2].

٢. **التَفل** :أن يكون مع الرقية(تفلٌ)، لما ثبت في حديث أبي سعيد الخدري: [أنه لما لُدغ سيد الحي، فانطلق فجعلَ يَتفلُ ويقرأ"الحمد لله رب العالمين"....][3].

☜ وفي هذا دليل أن التفلُ طريقٌ من طرق إيصال أثر الرُقية إلى موضع الداء.

يقول ابن القيم مُعلقاً على هذا:

" أن النفث والتفل استعانةٌ بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية، والذِكر والدعاء فالرقيا تخرج من قلب الراقي وفمِه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق والهواء والنَفَس كانت أتمَّ تأثيراً. وأقوى فِعلاً ونفوذاً ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهةٌ بالكيفية الحادثة في الأدوية.

فهو كما يقع بين – الداء والدواء الطبيعيين – يقع بين الداء والدواء الروحانيين، ونفسُ الراقي تفعلُ في نفس المرقي، فيقعُ بين نفسيهما فِعلٌ وانفعال، ونفسُ الراقي تُقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيدُ بكيفية نفسه، وتستعين بالرُقية والنفث على إزالة ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة فتُزيلُه بإذن الله "[4].

٣. أن لا يستخدم مع الرقية لا نفث ولا تفل وإنما تُقرأ بنية التأثير في هذا المرض.

---

[1] البخاري (٥٧٣٥)- باب الرقى بالقرآن والمعوذات.

[2] شرح النووي (١٤/٤٠٣).

[3] البخاري (٥٧٤٩)، (٢٢٠١).

[4] الطب النبوي (١٦٤-١٦٥).

كما ثبتَ في صحيح البخاري – باب رقية النبي ﷺ– عن طريق عبد الوارث عن عبد العزيز قال: [دخلتُ أنا وثابت على أنس بن مالك، فقال ثابت:يا أبا حمزة اشتكيتُ أمر، فقال أنس: ألا أرقيكَ برُقية رسول الله ﷺ ؟ قال: بلى، قال: " اللهم ربَّ الناس، مُذهب الباس، أشفِ أنت الشافي، لا شافيَ إلا أنت، شفاءً لا يُغادرُ سقماً"[1].

٤. أن يضع يده اليمنى على موضع الألم ثم يقول كما وردَ عن النبي ﷺ في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، أنه اشتكى وجعاً للنبي ﷺ **فقال النبي** :[ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل:"بسم الله " ثلاثاً ، وقل:"قل أعوذُ بالله وقدرته من شر ما أجدُ وأُحاذر" سبع مرات][2].

٥. أن يأخذ الإنسان مِن تراب الأرض بعد أن يبل إصبعه في ريقه ثم يمسح بهذا التراب موضع الوجع.
لَما ثبَتَ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه أو كانت به قُرحةٌ أو جُرحٌ، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضَعَ سفيان سبابتُه بالأرض ثم رفعها "باسم الله، تُرْبَةُ أرْضِنا، بريقةِ بَعْضِنا ليُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا"[3].
فسرها النووي قائلاً:" أي أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها في التراب فعَلِقَ به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح قائلاً الكلام المذكور في حالة المسح "[4].

☐ ما العلة من أخذ التراب؟

قال العلماء إن العلة و الحكمة قد لا تتضح اتضاحاً كاملاً ولكن نفعلُ ذلك كما فعلَ رسول ﷺ، معتقدين اعتقاداً جازماً أن ذلك طريقٌ مشروع.
فيكون ذلك أكمل في قوة الإيمان وحريٌ أن يُزال المرض بسبب هذا الاعتقاد.
(انظر شرحاً وافياً للحديث في زاد المعاد– ٤/١٨٦–١٨٧).

➢ الطريقة الثانية: الاستغسال

الأصلُ في هذه الطريقة حديث عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: " اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرَّاد– وادٍ في المدينة– فَنَزَعَ جُبةً كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر إليه، وكان

---

[1] البخاري (٥٧٤٢).
[2] مسلم (٥٧٠١/١٤).
[3] البخاري /كتاب الطب(٥٧٤٥)، مسلم الطب (٥٦٨٣).
[4] الفتح (٢٥٦/١٠).

سهل شديد البياض حسن الجلد، فقال عامر: ما رأيتُ كاليوم ولا جلد مخبأة عذراء، فوعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأخبر رسول الله ﷺ بوعكه فقيلَ له: ما يرفعُ رأسه، فقال: تتهمون أحداً؟ قالوا: عامر بن

ربيعة، فدعاه رسول الله ﷺ فتغيَّظ عليه فقال: علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برَّكت؟ اغتسل له، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صبَّ عليه من ورائه[1] ، فبرأ سهل من ساعته"[2].

وفي رواية: "وأحسبه قال: فأمره فحسا حسوات- أي شرب منه-"[3].

- **عامر بن ربيعة** رضي الله عنه (صحابي جليل من البدريين) وكثير من الرُقاة هداهم الله أطلقَ لسانهُ في هذا الصحابي ووصفه بالنفس الخبيثة عياذاً بالله، فلينتبه لهذا حتى لا يدخل في قول رسول الله [لا تسبوا أصحابي] وكما قال الإمام الذهبي عن أحد البدريين:[إياك يا جريء أن تنظر إلى هذا البدري شزراً، لهفوةٍ صدرتْ منه، فإنها قد غُفرت وهو من أهل الجنة][4].

وطريقة الاستغسال هذه أن يؤتى بالعائن

* فإما أن يطلب منه أن يتوضأ ثم يؤخذ ويصب على المُصاب، ويشرب منه فيبرأ بإذن الله.(القول المفيد١/٩٩).

* ***وقد قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:***

(وقد جربنا أن غسل الوجه والمضمضة وغسل اليدين وحدها يكفي بإذن الله في إزالة العين، ولو توضأ في إناء ثم صُبَّ على المريض يبرأ بإذن الله).فتاوى الشيخ في المس والسحر.

* ***قال ابن القيم معلقاً على طريقة الاستغسال هذه:-***

[هذه الكيفية لا ينتفع بها من أنكرها، ولا من سخِر منها، ولا مَنْ شكَّ فيها، أو فعلها مُجرِباً غير معتقد]. فتح الباري(١٠/٢٥٢).

هي أن يؤخذ شيء من شعاره أو أثرِه (أي مما يلي جسده)كالثياب والطاقية ونحوها أو كالعرق والريق ونحوه.

قال ابن القيم: [إن المغابن والأطراف هذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص].زاد المعاد(٤/١٦٣).

قال الشيخ السدحان يشرح كلام ابن القيم: [بمعنى أن الإنسان له رائحة عرق مميزة، فكل إنسان لا يشبه الآخر يعرف ذلك الكلب، ويعرف ذلك الشيطان الذي انطلق من العائن، فحين يؤخذ عرقُه أو ريقُه ثم يُغتسل به أو يُشرب منه إن كان للعين إيذاء داخل بطنه، يبتعد هذا الشيطان لأنه مربوط بهذا الوصف الذي أعجبه. فكأن العائن تملكه بدخول هذا العرق منه إلى داخل جسد المعيون وحينئذٍ ينفك عنه شيطانه].

* وثبت علمياً أن الريق- العرق والشعر- والظفر والدم تُرسِل ذبذبة خاصة من جسم صاحبها حتى ولو انفصلتْ عنه ولهذا يستخدم الساحر الظفر والشعر في عملية السحر لاستخدام هذه الذبذبة عن طريق الجن في الإضرار بالمسحور.

---

[1] من روائه: أي مكان رؤية العين وهو بياض جلد سهل رضي الله عنه.
[2] صحيح الجامع للألباني (٣٩٠٨).
[3] أخرج هذه الزيادة عبد الرزاق في السنن والشعب وقال محققه: إسناده صحيح.انظر مجمع الزوائد (٨٤٢٩).
[4] سير أعلام النبلاء (١/١٨٨)،.

وطريقة الاستغسال هذه أن يؤتى بالعائن

* وينبغي وجوباً على العائن الذي وقعت منه العين أن يغتسل إذا طُلِبت منه لحديث: [إذا استُغسِلتُم فاغسلوا].

◘كيف يؤخذ من أثر العائن؟

* من أي شيء مسه العائن من ريق أو عرق لأن المقصود هو رائحة العائن لكي تطرد شيطانه المُتسلط على المعيون.

* يؤخذ مثلاً من بقايا أكله أو شربه أو ما مسه جسده من المُباحات مثل مقبض الباب، ويكفي الأخذ لمرة واحدة فهو مثل التطعيم فهي نافعة بإذن الله.

* لا يُكرر الأخذ حتى لا يفتح على نفسه باباً للوسواس الشيطاني.

* ينبغي إحسان الظن ممن أُخِذَ منه الأثر وأن لا يُقاطعه ولا يبغضه، فكل إنسان معرض لمثل هذا.

* ومعاداة العائن وبغضه لا تقي من العين، فالذي يقي من العين هو الله عزوجل.

* يكفي الأثر البسيط من العائن (حسب التجربة) وإن كان الاغتسال هو الأفضل.

* المقصود من الأخذ هو: الرائحة فقط، فلو غُليَ الأثر منعاً من القذارة والعدوى فلا بأس.

* يبقى أثر العائن على الموضع لقبض الباب مثلاً ولو كثُرت عليه الأيدي أو تقادم عليه العهد، وأصدقُ دليل☜ أن الكلب يشُم الروائح ولو تقادم عهدها فما بالُك بالشيطان هو أكثرُ شماً.

ويُستأنسُ بحديث أبي هريرة ﷺ: "إن الشيطان حسَّاس لحاس فاحذروا منه على أنفسكم".(أخرجه الترمذي (١٨٥٩).

(جمعاً من كتاب كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية) للشيخ السدحان ص٢٢-٣١. بتصرف.

◘ ما معنى قول النبي ﷺ في حديث (سهل بن حنيف) مَنْ تتهمون؟ وهل يلزم إخبار المُتهم بالعين لأخذ الأثر منه أم يؤخذ بدون علمه؟

معنى الاتهام ☜ هو أن من تُصيبه العين يُشرع له أن يتذكر المواقف السابقة التي يرد الاحتمال أن تكون من أسباب إصابته بالعين.. ويستعرض في ذاكرته الأشخاص الذين يُحتمل أن يكون تكلم أحدهم في حقهِ بما يقتضي الحسد أو الغبطة أو وصَفَهُ عند الآخرين.

أمَّا إخبار المُتهم بالعين:

فهذا راجعٌ إلى ملابسات الحادثة وما يُمكن أن يترتب على ذلك، فإن كان المتهمْ بالعين عاقلاً ويتقبل الأمر بدون مفسدة فيحسن إخباره وأن يُطلب منه أن يغتسل أو يُمسح من آثاره.

وإن كان الأمر على غير ذلك فيؤخذ من أثره دون علمهِ وكل ذلك نافعٌ بإذن الله.(المصدر السابق(٣٦).

☐ كيف يتم الجمع بين قول الرسول ﷺ: " عباد الله تداوو ولا تداوو بحرام"، وحديث السبعين ألفاً ، وذكر من صفاتهم أنهم[لا يسترقون]؟

قال سماحة الشيخ بن باز رحمه الله:-

[الحديث يدل على الإذن بذلك واستحباب التداوي، ولكن التداوي بما حُرم لا يجوز. والاسترقاء تركه أفضل، وإنْ دعتْ إليه الحاجة فلا بأس جمعاً بين الأحاديث الصحيحة، والأحاديث يُفسِر بعضها بعضاً. فإخباره عن الذين لا يسترقون يدل على الأفضلية، وأمرُه الصحابة أن يسترقي للحاجة، وإذنه للصحابة بالكي عند الحاجة إليه. فكل ذلك لا بأس به و لا يخرجهم ذلك من السبعين إذا دعت الحاجة إليه][1].

⇦ *سائلٌ يقول*: رجلٌ مريض فهل الأفضل له البحث عن الرقية، وعن الدواء أو أن يتوكل على الله عز وجل؟

أجاب سماحة الوالد بن باز رحمه الله:

" أن يبحث عن الدواء والعلاج أفضل من الترك لأن الأسباب فِعلها أولى، فالدواء مُستحب، والرقية مُستحبة، ومن صبر و لم يتداوى فلا حرج عليه، و لكن الأفضل أن يتداوى ويتعالج "[2].

انظر إلى التفصيل في الباب السابق

*****

---

[1] انظر س٦٩، س٣٥ من ملزمة فتاوي الشيخ.

[2] (س٤٣) ملزمة فتاوي الشيخ الخاصة بالمس والسحر.

سورة الناس

سورة الناس

تضمنت هذه السورة أيضاً استعاذة، ومستعاذاً به، ومستعاذاً منه..

وأنت تلاحظ أيضاً أنه في سورة الناس تعددت أوصاف الله عز وجل، ﴿ رب الناس، ملك الناس، إله الناس ﴾ ..

بينما في سورة الفلق ما ذكَرَ إلاَّ صفة واحدة رغم كثرة الشرور الظاهرة المُستعاذُ منها في سورة الفلق..

وما هذا التعددُ إلاَّ لتُدرك أولاً عظمة هذا القران وأنه كتابٌ محكم وأنه كل كلمة وضعت فيه وضعت في موضعٍ محكم ولا يمكن أن تنوب عنها غيرها.

ثم لتتنبه أنك في سورة الناس تستعيذُ بالله من أمرٍ باطنٍ خفي متعلقٌ بعدوٍ عظيم لا تراه بعينك و لا تدركه و لا تُبصره حتى تستطيع مداراته أو دفعه بنفسك أو جهدك أو قوتك، ثم أنت لا تعرفُ متى يدخل عليك و لا من أي مكانٍ يدخل ، هو عدوٌ يكيدُ لك في الليل و النهار وفي كل لحظة و في كل ثانية هذه وظيفته لا يملْ و لا يكل و لا يسأم إنه (**الشيطان**) عدوك الأكبر .

قال ابن كثير رحمه الله: " وهو الشيطان الموكلُ بالإنسان فإنه ما من أحدٍ من بني آدم إلاَّ وله قرينٌ يزين له الفواحش ، والمعصومُ من عصمَهُ الله.."

فلما كان شر الشيطان و شر النفس أشد من الشرور الأخرى تعددت أوصاف المستعاذُ به و هو الله جل وعلا.

فهذا الشيطان الذي يوسوس ليس بخارجٍ عن مُلكِ الله و ربوبيته و ألوهيته . فهو مربوبٌ لله مملوكٌ لله ، و الله عز وجل إلهك و إلهه ..

و تكرار الاسم الظاهر (الناس) في هذه الآيات و لم يعطفها على بعضها فيه إقرارٌ و تأكيدٌ على التوحيد ، و التوحيد هو حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين ..

و اعلمْ أن من ترجوه وتخافه و تدعوه و تتوكل عليه إما أن يكون:

مُربّيك و القيّم بأمورك ومُولي شأنك و هو ربك لا رب سواه

أو تكون مملوكهُ و عبدُه الحق . فهو ملِك الناسِ حقاً و كلهم عبيدهُ ومماليكه .

أو يكون معبدوك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك هو الإله الحقُ إله الناس.

و على هذا، يفهم المستعيذُ أنه يتعوذ بالله العظيم الجليل المتصف بهذه الصفات من الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا و الآخرة و هو سبب المعاصي و الذنوب كلها.

⇦ و كلما زاد توحيد العبد و استعاذته كلما زاد حفظ الله له من شر هذا الشيطان.

ما معنى (الشيطان) ؟؟

شيطان وصفٌ على وزن فعلان، و فعلان في اللغة تدل على الامتلاء بالصفة.

والشيطان مُشتقةٌ من شَطَنَ أو شَاطَ ..

شَطَن ⇦ إذا بَعُدَ ، و شاطَ ⇦ إذا احترق .. وكلاهما واضحٌ في الشيطان

فهو بعيدٌ عن رحمة الله ، و بعيدٌ عن كل خير .

ومع ذلك هو أيضاً واقعٌ في الاحتراق من شدة حسده وغيظه على المؤمنين، بالإضافة أنه سيُحرق يوم القيامة في نار جهنم.

متى بدأت عداوته للإنسان ؟ و لماذا ؟

أنزل الله الأبوين آدم وحواء من الجنة و أنزل معهما الشيطان الذي أغواهما، أنزلهم جميعاً إلى الأرض بعد أن بثَّ العداوة والبغضاء بينهم أبداً.. **قال تعالى**: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدو ولكم في الأرضِ مُستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ﴾[1] .

فإبليس عدوٌ لآدم و ذريته ☜ حيث أخرجهم من الجنة .

و آدم و ذريته أعداء لإبليس ☜ لأنهم جنسٌ مفضلٌ على جنس الجن، فقد خلق الله آدم من الطين وخلق إبليس من النار، و الطين خيرٌ و أنفع من النار.

□ الطين فيه صفة الثبات – الرزانة – والحلم و الأناة و النمو..

□ و النار فيها صفة الطيش و الخفة و السرعة و الاحراق والإفساد، وعلى ذلك علا جنس الطين على جنس النار.

⇦ لما أمر الله عز وجل بالسجود لآدم امتنع إبليس من السجود وقال: ﴿ أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقتهُ من طين ﴾ فجمعَ مع حسدهِ كِبْراً فكان هذا سبباً في طرده من رحمة الله وجنته إلى أبد الآبدين.

وقد قيلَ أن أصول الخطايا و مجامع الذنوب مبنيٌ على ثلاث أمور في الغالب أنها سبب كل خطيئة: " الكبر ، الحسد ، الحرص "..

---

[1] البقرة ٣٦

استنظر إبليس ربهُ فأمهله إلى يوم القيامة فتنةً للناس و اختباراً لهم . له عرشٌ على البحر و هو جالسٌ عليه ويبعث سراياه يُلقونَ بين الناسِ الشرَّ و الفتن.

– **جاء في مسند الأمام أحمد** عن جابر بن عبد الله قال : **قال رسول الله** ﷺ: [عرش إبليس في البحر يبعثُ سراياهُ في كل يوم يفتنون الناسَ فأعظَمُهمْ عنده منزلةً أعظمهُمُ فتنةً للناس]..

فالعداوة التي بين إبليس و بين آدم و ذريته عداوة حقيقية لا يخالجها شكٌ و لا ريبة كتب الله لها الدوام إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوهُ عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحابِ السعير ﴾[1].

ما هي أهم صفات هذا العدو ؟

من أهم صفاته:

أنه مترصد متربصٌ .. جاهدٌ كل الجهد على إضلال بني آدم بكل طريق و بكل مرصد و قد أعلنها حرباً ضروساً لا هوادةَ فيها. و قد قال إبليس معلناً خطته : ﴿ أرأيتكَ هذا الذي كرَّمتَ عليَّ لئِنْ أخَّرْتنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَحتنِكَنَّ ذُرِّيتهُ إلا قليلاً ¤ قال اذهب فمن تبعكَ منِهم فإن جهنم جزآؤكم جزاءً موفوراً ¤ و استفزز من استطعتَ منهم بصوتِكَ و أجلِبْ عليهم بخيْلِكَ و رجِلِكَ و شاركهُم في الأموال و الأولاد و عِدْهُمْ و ما يعدْهُمْ الشيطانُ إلاَّ غروراً إنَّ عبادي ليس لكَ عليهم سلطان و كفى بربك وكيلاً ﴾[2] .

➢ و انظر كيف أنه مترصدٌ بك ، و هذا على سبيل المثال فقط لا الحصر:

١. من أول لحظة وجودك في الحياة (لحظة الولادة)

قال الرسول ﷺ:[ما من مولودٍ يُولد إلاَّ نخسه الشيطان فيستهلُ صارخاً من نخسة الشيطان إلاَّ ابنُ مريم و أمه][3].

٢. ثم هو يجري في دمك

قال ﷺ:[إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم] [4].

---

[1] فاطر (٦).
[2] الإسراء (٦٢-٦٥).
[3] متفق عليه.
[4] متفق عليه.

٣. جاثم على قلبك

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :[إن الشيطان واضعٌ خَطْمَهُ على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنِس و إن نسيَ التقَمَ قلبهُ فذلك الوسواس الخناس][١].

٤. يبيتُ على خيشومك

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:[إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً فإن الشيطان يبيت على خيشوميه][٢].

٥. يعقد على قافيتك عند نومك

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:[يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نامَ ثلاث عُقد، يضربُ على كل عقدةٍ مكانها عليك ليلٌ طويلٌ فارقدْ ؛ فإن استيقظَ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلْت عقدة فإن صلَّى انحلت عُقدهُ كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس و إلا أصبح خبيث النفس كسلان][٣].

٦. إذا دخلتَ بيتك و عند طعامك

عن جابر ﷺ قال:سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:[إذا دَخَلَ الرجلُ بيتُه فذكر اسم الله حين يدخل و حين يَطعم قال الشيطان: لا مبيت لكم و لا عشاء هاهنا!. و إن دخل و لم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركتُم المبيت ..و إن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت و العشاء][٤] .

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:[لا يأكُل أحدكم بشماله و لا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكلُ بشمالهِ و يشربُ بشمالهِ][٥].

٧. عند معاشرة أهلك

قال ﷺ :[لو أنَّ أحدكم إذا أرادَ أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينها ولدٌ لم يضرهُ الشيطانُ و لم يُسلط عليه][٦] .

٨. عند التثاؤب

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: [التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءَبَ أحدُكُم فليرُدَهُ ما أستطاع فإن أَحدُكُم إذا قال: ها ضحِكَ الشيطانَ] [٧] .

---

[١] ابن كثير في البداية (١- ٧١)
[٢] متفق عليه.
[٣] صحيح البخاري.
[٤] مسند الأمام أحمد.
[٥] مسند الأمام أحمد.
[٦] رواه البخاري.
[٧] رواه أحمد و أبو داود.

و في لفظٍ:[إذا تثاءب أحدُكُم فليكظم ما استطاع فأن الشيطان يدخل][1] .

و لو تتبعنا تربص الشيطان بالإنسان و حضوره معه في كل شأنه لطال بنا المقام و لكن يكفينا قول ربنا على لسان الشيطان: ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطَكَ المستقيم ثمَّ لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفِهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين ﴾ .

و **قال ﷺ** :[إن الشيطان قعدَ لابن آدم بأطرُقِهِ][2] .

و من صفاته أيضاً:

أن كيده متنوع فله

وسواس وهمزات وخطوات

وله طُرقٌ ومصايد وحبائل

ماهي الوسوسة ؟ وماهو محلّها ؟ ومن المُوسوس ؟

الوسوسة :

الصوتُ الخفي الذي لا يُحسَ.. وهي صفةٌ ثابتة للشيطان ، بل هي أعظمُ صفاته ، وأشدها شراً، وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً..

وهي الخاطرة التي يلقيها الشيطان في قلب العبد ، فما من قلبٍ إلاَّ وفيه لُمّتان: لُمةٌ[3] مَلَكٍ ، ولُمةُ شيطان ، لُمة لُمة الملك تأمرهُ بالخير وتحثه عليه ، ولُمّة الشيطانِ تأمرهُ بالفواحش والسوء والمعاصي وتحثُه عليه .

محلّها:

﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ والصدرُ يطلق ويُرادُ به القلب ، ويُطلقُ ويُرادُ به مكان القلب..

قال ابن القيم رحمه الله :

" الصدرُ هو ساحةُ القلبِ وبيتهُ ، فمنُه تدخُل الوارداتُ إليه فتجتمعُ في الصدر ثم تلجُ في القلب فهو بمنزلةِ الدهليز له، ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود "[4] .

وقد جعَلَ الله للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذاً إلى قلبه وصدره ، فهو يجري منه مجرى الدم ، وقد وُكِّل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات.

---

[1] البخاري.
[2] رواه أحمد (٣\٤٨٣).
[3] اللمة هي الخاطرة
[4] بدائع الفوائد (٢/٤٨٦).

والموسوس نوعان : إنسٌ وجن..

١. **فشياطين الإنس**: يوسوسون في الآذان..: ﴿ من الجِنَّةِ والناس ﴾ . . قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً شياطين الإنس والجن يُوحي بعضهم إلى بعض زُخرفَ القول غروراً . . . ﴾[١].

فالشيطانُ يُوحي إلى الإنسي باطلهُ ، ويُوحيه الإنسي إلى إنسي مثلُه..

٢. **وشياطين الجن** : يوسوسون في القلوب : ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ ..

وعلى هذا فشياطين الإنس والجن يشتركان في الوسوسة التي هي الإلقاءُ الخفي في القلب.. وهذا الإلقاءُ هو ☜ **الخاطرة** التي يبذرها الشيطان في قلب العبد؛ فإذا تمكَّن من بذرها أخذَ يتعاهدها بالسقي مرةً بعد مرة،حتى تصير ☜ **إرادات** ثم يسقيها حتى تكون ☜ **عزائم** ، ثم لا يزالُ بها حتى تُثمِر ☜ **الأعمال**.

" **وصورة ذلك** ⇦ أن القلب يكون فارغاً من الشر ومن المعصية ، فيوسوس إليه الشيطان ***ويخطرُ*** الذنب بباله، ***فيصوره*** لنفسه ويُمنّيه ويُشهّيه فيصير ***شهوة*** ، ***ويُزينها*** له ويُحسنها ويُخيَّلها له في خيالٍ تميل نفسه إليه فيصيرُ ***إرادة*** .. ثم لا يزال يُمثل ويُخيّل ويُمني ويُشهي ***ويُنسي علمهُ بضررها*** ويطوي عنه سوء عاقبتها ، فيحول بينه وبين مطالعته فلا يرى إلاّ صورة المعصية فقط والتذاذه بها ويُنسيه ما وراء ذلك ، ***فتصيرُ الإرادة عزيمة جازمة***، ***فيشتدُ الحرصُ عليها من القلب*** ، فيبعث الجنود في الطلب ، فيبعثُ الشيطان معهم مداداً لهم وعوناً فإن فِتروا حرّكهم، وإن ونوا أزعجهم كما قال تعالى : ﴿ ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهُم أزاّ ﴾[٢]... أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً.."[٣].

وبهذا الوصفُ لوسوسة الشيطان وخطواته يُبيِّن خَطَر هذا الثغر وهذه الخواطر.. فأصلُ الفساد كله يجيء من قِبلها . وما هي إلاّ بحرٌ من بحور الخيال إذا دَخَل القلب في غمراته غرِق فيه ، وتاه .. فيطلب الخلاصُ منه فلا يجد له سبيلاً..[٤]

↲ ثم تأمّل كيف جاء بناء الوسواس مكرراً لتكريره الوسوسة الواحدة مراراً حتى يعزِمَ عليها العبد، فلا تتصور أن الشيطان يتملَّك الإنسان ويستَزلّه ويُوقعهُ في كبيرةٍ من كبائر الذنوب مع عِلمه بحكمِها وجُرمها، من مجرد خاطرة أو وسوسة عابرة ؛ بل لا بد من تزيين وخطواتٍ ، وما هذه الخاطرة إلاّ كالحبْ الذي يُلقى للطائر ليُصطادَ بهِ..

---

[١] الأنعام (١١٢).
[٢] مريم (٨٣).
[٣] بدائع الفوائد (٢/٤٨١).
[٤] طريق الهجرتين (١٧٥).

☝ فتيقظْ أن كل خاطرة منها هي فَخٌ نصبهُ لك الشيطان ليصيدك ، ويُوقعكَ في حبائلهِ ، وفي مستنقعِ الرذيلة لينقُص إيمانكَ وأنت لا تشعر..

وقبلَ أن ننتقل من الوسوسة بقيَ أن نتكلم عن **وسوسة النفس الأمّارة بالسوء**..

وهي في الأصل ⇦ من وسوسة الشيطان إلاّ أن هذه الوسوسة تلقى هوىً وحُباً في النفس ومن هُنا تأتي خطورتها، فمُجاهدة النفس للتخلص من معصية الهوى أشد من مُجاهدتها لأي معصية أخرى ، خاصةً وأننا اُبتلينا بنفوسٍ أمَّارة ليست مُنقادة لن بل ميّالةٍ للشر..فرَّارة من الخيرة .. مُحبةٌ للهوى .. مُحبةٌ للشهوة.. ولا أحدَ يستطيعُ أن يُنكرَ أن لهذه الشهوات سُلطاناً على النفوس ، وتمكُناً في القلوب، بل أحياناً قد تلفُ الشهوة بصاحبها فيُصبحْ وكأنه عبدٌ ذليلٌ لها، وكأنه أسيرٌ في قبضتها تقودهُ كيفما أرادت..وحيثما أرادت.

↲ وتأمل إحكامها على أصحابها في كلمات الرافعي حين قال: " من كان سيّدَ نفسهِ كان سيّدَ ما حولها يُصرِّفُهُ بحكمهِ ؛ ومن كان عبدَ نفسهِ صرَّفَهُ بحكمِهِ كُلُّ ما حوْله "[1].

لذلك جاء التحذير من هذه النفس ونزغاتها ، ووساوسها بقول ربنا : ﴿ قد أفلَحَ من زكَّاها وقد خابَ من دسَّاها ﴾ ..

وقد قدَّم رسول الله ﷺ الاستعاذة من شرها قبل شر الشيطان في الدعاء الذي نردده صباحاً ومساءً:[اللهم عالِمَ الغيب والشهادة فاطرِ السموات والأرض ربّ كلِ شيءٍ ومليكه أعوذُ بكَ من شر نفسي ومن شر الشيطان وشَرَكهِ ، أو أن أقترفَ على نفسي سوءاً أو أجرُهُ إلى مسلم].

- **ومن دعائه ﷺ** :[اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي]..[اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها]...

وصدق ابن القيم حين قال: " احذر نفسك ، فما أصابك بلاءٌ قط إلاَّ منها ، ولا تُهادنها ؛ فوالله ما أكرمها مَنْ لم يُهنها ، ولا أعزّها من لم يُذلّها .."[2].

والنفسُ كالطفلِ إن تُهملهُ　　شبَّ على حُبِ الرضاعِ
وإن تفطِمهُ ينفطِمِ

لذلك قال ابن بطال: " جهادُ المرء نفسه هو الجهاد الأكمل ".

وقد سُئِل عمر ابن الخطاب ؓ :"عن رجلٍ لم تخطر الشهوات بباله ، أو رجلٌ نازعتهُ نفسه إليها ثم تركها لله أيهما أفضل ؟ فقال: " إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله ، من الذين امتحنَ قلوبهم للتقوى

---

[1] وحي القلم (٢/٩٧).
[2] فوائد الفوائد (ص٤٣٧).

: ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ﴾ ".

و من صفاته أيضاً...

أن له طُرقاً ومصايدَ وحبائلَ متنوعة لا يمكن حصرُها فكيده متنوع ، إذا لم يُفلِح معك من طريق جاءك من طريقٍ آخر ، ليس مهماً عنده أن تقع في المعصية بعينها ؛ المهم عنده أن تقع .. أن تزلَّ قدمك ، وأي معصية تقبلها أنت يقبلها منك بعكس النفس الأمارة بالسوء فإنها تُلّح على معصية بعينها وبذاتها وتشتاقُ لها..ولكن قد يُجمع شره في سبعِ أجناس ، أو عقباتٍ لايزالُ بابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر .. بعضها أصعبُ من بعض ، ولا ينزلُ من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلاَّ إذا عجزَ عن الظفرِ به فيها..

وقد قال أبو الدرداء ﷺ : (أن من فقهِ العبد أن يعلم نزغات الشيطان متى تأتيه ومن أين تأتيه).

وقال الحسن البصري رحمه الله : (لا يزلا العبدُ بخيرٍ ما عَلِمَ ما الذي يُفسدُ عليه عمله).

العقبات السبع:

العقبة الأولى:

عقبة الكفر والشرك بالله بكل أنواعه : الأكبر ، والأصغر، والخفي..

العقبة الثانية:

عقبة البدعة ؛ إذْ أن البدعةُ أحبُ إلى الشيطان من الكبيرة، فصاحب البدعة تصعبُ توبتهُ لأنه مُعتقدٌ أنه على صواب ، وأن هذا دينٌ يتقرب به إلى الله .. **قال ﷺ** :[إن الله حجب التوبةَ عن كل صاحبِ بدعةٍ حتى يدعَ بدعته].

والتخريج الذي يقوله أهل العلم على معنى هذا الحديث : أن الغالبَ أنه لا يُوفقُ للتوبة ..

العقبة الثالثة:

وهي عقبةُ الكبائر بأنواعها : كبائر القلوب ، أو كبائر الجوارح..

والكبائر كما يقول أهل العلم : لا تُعد ولكنها تُحد ، والحد الذي تُعرف به الكبيرة **ما قاله ابن عباس** رضي الله عنه قال: " الكبائر كل ذنبٍ ختمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ أو عذاب ".

على ذلك فهي إلى سبعمائة أقربُ منها إلى السبع..

ولا يغتر المسلم بحديث: [اجتنبوا السبع الموبقات...] الحديث، ويعتقدْ أنها قد حُصِرت في هذه السبع فقط، ولكن يُفهم من الحديث أن الكبائر درجات بعضها أكبر من بعض وهذه السبع من أعظمها..!

العقبة الرابعة:

عقبة الصغائر ، وهي ساحةُ الشيطان الرحبة التي تتسعُ فيها صولاتهُ وجولاته ، ولا يكاد ينجو منها مسلمٌ إلاَّ بعونٍ من الله .. **وقد أخبرَ رسول الله** ﷺ عن خطورتها بقوله:[إياكم ومُحقِّرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهلكنه ، كمثلِ قومٍ نزلوا ببطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن مُحقِّراتِ الذنوبِ متى يؤخذُ بها صاحبها تُهلكه][1].

ثُم إذا خسِرَ الشيطان هذه الجولة علِمَ أن عليه ألا يُصادم المؤمن مجابهةً بالذنوب والمعاصي ؛ بل لا بد من تجديد أسلوب المواجهة ☜ فتأتي العقبات الأُخر..

العقبة الخامسة:

أن يستكثرَ من المُباحات و يشغله بها ، فينغمسَ فيها .. فتُعرقل سيرهُ فيثقُل عن الطاعات وتُضعفهُ وتُثبطهُ.. كفضولِ النوم ، وفضُول الأكل ، وفضول الخُلطة ، وفضول الكلام..

هذه الروح مُقيدة بهذه العلائق لن تنطلقَ ولن تزكو إلاَّ إذا خُفِفَت عنها القيود ، **لذلك يقول بعض أهل العلم:** " تركُ الفضول من أعظم الاحتياطات التي تؤدي إلى حراسة القلب ".

وأعظم ما يفقده من وقع في شباك الشيطان في هذه العقبة هو : (لذَّة العبادة ، وحضورُ القلبِ فيها).

يقول الدكتور عبد الكريم الخضير حفظه الله في شريطه : (أحكام القيام والتراويح):

" من شَغَل وقته بالقيل والقال في الغالب أنه لا يُعان على الطاعات ، وخاصةً العظيمة منها كقيام الليل ، وإن قامَ فإنه لا يُعانُ على حضور القلب ، والمسألةُ تحتاجُ إلى جمع قلب ". انتهى كلامه.

وهذا كلامٌ نفيس لمن فَهِمهُ ووعى معناه وأدركَ حقيقته..

ولقد كان أسلوب العلماء رحمهم الله في القديم والحديث واضحاً في التقليل من المُباحات المُليهة التي يأنس لها القلب، فتُقيدهُ عن قُربةٍ مستحبةٍ أو فُرصةٍ سانحة.. **لذلك قال الإمام أحمد** رحمه الله : " إني ادعُ ما لا بأس فيه خشية الوقوعِ فيما فيه بأس "..

العقبة السادسة:

إشغاله بالعمل المفضول عن الفاضل.. فيُبعثر عليه ترتيب قائمة الأولويات ، ويعكس له القواعد الشرعية، في تفاضل الأعمال الإيمانية ، فيأمرهُ بفعل المفضولِ ويُحسّنه له إذا تضمّنَ ترك ما هو أفضل وأعلى منه . وقلَّ من الناس من ينتبه لهذه العقبة .. لأنه لم يصلْ إلى علمهم أن الشيطان قد يأمر بمائة باب من أبواب الخير ليتوصلَ بها إلى بابٍ من أبواب الشر ، وإمَّا ليفوّت بها خيراً هو أعظم من تلك المائة وأفضل..

---

[1] رواه أحمد.

فيشغلهُ بالنوافل عن الفرائض، يشغلهُ بالنفع القاصر عن المتعدي ، يشغلهُ بالذكر المطلق مثلاً عن الذكر المقيَّد في وقته وهكذا .. وأقل ما ينال منه تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة، ولو عرفَ السعر لما فوّت على نفسه شيئاً من القربات ولكنهُ جاهلٌ بالسعر ، وقد قيل :" الجهلُ بالطريق يُورثُ التعب "..

العقبة السابعة:

يُسلط عليه حزبه من الجن والإنس فيرمونه بألوانٍ من الأذى باليد واللسان على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبتهُ أجْلَبَ عليه بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ وظاهَرَ عليه بجنده ، وسلّطَ عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط ، ويقصد الشيطان من وراء هذا الهجوم كله إخماد العبد المسلم ، وإطفاءه ليشوش عليه قلبه ، ويمنع الناس من الانتفاع به..

وهذه المرحلة لا يسلم منها بشرٌ حتى رسول الله ﷺ فكم رُمي وشُتِمَ ، وكم قُوتل وحوربَ بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه..

أعاذنا الله وإياكم من نزغات الشيطان ومكره..

فإن عرفتَ صفات عدوك الأكبر وهو الشيطان ، وكثرة طُرقِهِ ومداخلِهِ وتنوعِ كيده وهمزاته ونزغاته ووساوسه ☜ ***وجبتْ عليك مراغمته*** ..

ولا شيء أحبَّ إلى الله من مُراغمةِ وليه لعدوه وإغاظتهُ له وتُسمى هذه عبودية المُراغمة..

والمُراغمة كما عرّفها ابن سعدي رحمه الله في تفسيره قال: " هي اسمٌ جامع لكل ما يحصُل به إغاظة لأعداء الله من قول أو فعل "..

يقول ابن القيم في المدارج : " ومن تعبّدَ الله بمراغمة عدوه ، فقد أخذ من الصديقية بسهمٍ وافر ، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه ، يكون نصيبه من هذه المراغمة ".

ومن أكثر ما تُراغمُ به عدوّك وتغيظهُ:

١. كثرة ذكرك لله تعالى وعدم غفلتك عنه..

والله عزوجل يقول: ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوعلى أدبارهم نفوراً ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه :" الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنسَ ، وإذا سها وغفل وسوس"[2].. فأكثر ما يوسوس الشيطان وقت الغفلة ؛ فمن معاني الخنَّاس قيل: أي الذي يتحيّن الفُرص فيُحاول أن يصطاد ابن آدم في غفلته مثل الصائد إذا أرادَ أن يصطاد فريستهُ فإنه يختلها ختلاً.

---

[1] الإسراء (٤٦).
[2] زاد المسير

فذكر الله يقمع الشيطان ، ويُؤلمُهُ ويؤذيه كالسياط والمقامع التي تُؤذي من يُضرب بها ، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلاً ضئيلاً ، مضنى مما يعذبه ويقمعهُ به من ذكر الله وطاعته، فشيطانه معه في عذابٍ شديد..

٢. كثرة استعاذتك بربك..

والاستعاذةُ من الذِكر عموماً ، ولكنها تُخصص لبيان أهميتها ، فهي تحملُ معنى اللَجـأَ والاعتصام والعوْذ ، وصدْق الفرار وطلب المعونة من الله تعالى.

قال أحد السلف لطلابه: "إذا نَبحَ الكلب أحدكم فماذا يفعل ؟ قال التلميذ:أردُ ، قال: فإن عاد؟ قال: أعود، فقال المعلم : إن هذا يطول ، فقال التلميذ: وماذا أفعل؟؟ فقال المعلم: استعن بربه عليه – وهو الراعي– ليرده عنك ".

فأنت يا مسلم كذلك إذا جاءك الشيطان ستدفعهُ مرة ومرتين وثلاث ، ولكن ستتعب وتجْهد وينقطع بك الطريق إن لم تستعن بربك وتعوذ به ليدفعه عنك.

٣. أنْ يتصف العبد بأنه (أوّاب)..

والأواب كثير الرجوع إلى الله تعالى، ما أن يقع أو تزلَّ قدمه إلاَّ وسرعان ما يعود ويرجع ، ويندم.. ﴿ إن الذين اتقواْ إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مُبصِرون ﴾ . .

فالمُتقي إذا وقَعَ سرعان ما يعود لأنه صاحبُ قلبٍ حي ، ونفسٍ لوامة .. تلومه على فعل الذنب وتؤنبه على الزلل، وإذا أرادَ الله بعبده خيراً جَعَل له واعظاً من نفسه..

أقسَم الله بالنفس اللّوامة لشرفها وتطلّعها للكمال ، **وقد أخبر النبي ﷺ** :[أن مثل المؤمن ومَثلَ الإيمان كالفرس في آخيتهِ يجول يجل ثم يرجع] .

ومع هذه الأوبة والتوبة والندم تأتي الحسنات الماحية وكثرة الاستغفار ، ويأتي القضاء لما فات كما شرعَ النبي ﷺ للمُصلي إذا سها في صلاتهِ سجدتين ، **وقال عنهما** :[ترغيماً للشيطان]..

وكل هذا يُهلكُ الشيطان ويُحزنه ويغيظه..

ما سر ختم القرآن بهاتين السورتين :

أنه كما شرع الله سبحانه وتعالى بداية القرآن بالاستعاذة من الشيطان : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ ، وختمَ القرآن بالاستعاذة حتى يكون قلب المؤمن مع هذا القرآن مغلقاً عن كل شر ، ويكون في حصنٍ حصين داخل كتاب الله ، فهو يُسلّم قلبه ويطرحُه على عتبة العبودية لله تعالى ، فيؤمن بالكتاب كله محكمه ومُتشابه..

ومن أسرارها أيضاً:

أن القارئ حين ينعم بالنعمة العظيمة من قراءة القرآن ، وتأملهِ وهدايتهِ والاستشفاء به والعمل به ، هذه النِعم كلها هي كنزٌ إلهي يحتاج هذا الكنز إلى (ختْمٍ) يُحصّنهُ من السرقة ، فجاءت هذه المعوذتين مع الإخلاص " ختماً على كنوز القرآن " والله أعلم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢)
الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ
فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

[1] سورة الشرح

ربِ اشرح لي صدري

ويسِّر لي أمري

واحلُل عقدةً من لساني

يفقهوا قولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والإسلام على رسول الله وبعده. . .

قارئي الكريم. . . .

هذا الإصدار هو تعليق على فصل أورده الإمام ابن القيم رحمه الله ،في كتابه زاد المعاد ، المجلد الثاني. قمت بجمعه وإعداده ثم ألقيته في محاضرتين في شهر ذي القعده من عام ١٤٣٣هـ في مدرسة دار التوحيد لتحفيظ القرآن الكريم بجده ، وهاهو الآن بين يديك كتبته على عجل ، طعماً أن يوزع هذا الإصدار في هذه العشر المباركات – عشر ذي الحجة – لعله أن يقع بين يدي أحد الحجاج وهو في أطهر بقعه على وجه الأرض، فتلامس الكلمات قبله ، وتكون سبباً في انشراح صدره، و جلاء حزنه، فأظفر منه بدعوة في ظهر الغيب، قد يكتب الله لي بها نجاةً وسعادةً في الدارين .

شرح الله صدري وصدوركم، وجمع الله لي ولكم الخير من جميع أطرافه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة:

القبض والبسط أمران يتعاقبان على النفس، فالنفس تارةً تشهد تجلّيات القبض، وتارةً تشهد تجلّيات البسط.

بمعنى أنك قد تجد الإنسان أحياناً سعيداً مرتاحاً، متفائلاً وهادئاً، مسروراً، منطلقاً يشعر براحة إيمانية، يشعر بشيء من الطمأنينة، فهذا هو من البسط.

وأحياناً تجده متضايقاً ثقيل النفس وكأنه محبوس أو محصور داخل نفسه، يتنفس من ثقب إبرة، تعتريه وتُخيِّم عليه حالة من الهم والغم والكآبة، فهذا هو القبض.

وأصل القبض في اللغة: ضم الشيء المنبسط من أطرافه، فهو التقتير والتضييق[1].

وأصل البسط: النشر والسعة، فالبسط نقيض القبض[2].

والله هو القابض الباسط سبحانه وبحمده. قال تعالى ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة:٢٤٥].

وقال تعالى ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، وقال سبحانه ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ [الرعد:٢٦].

وقال ﷺ: "**إن الله هو الخالق القابض الباسط الرزّاق المسعِّر وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحدٌ بمظلمة ظلمتها إياه في دمٍ ولا مال**"[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: "**يقبضُ اللهُ الأرضَ يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه.... الحديث**".

وقال ابن القيم في النونية:

هو قابضٌ هو باسطٌ هو خافضٌ   هو رافعٌ بالعدل والميزانِ[4]

فالله يبسط ويوسِّع وينشر بره ومعروفه على من يشاء من عباده فيبسط القلوب والألسنة والأرزاق وسائر الأسباب، ويقبض ويضيِّق ويقتر على من يشاء من عباده، فإذا قبض الله الأرزاق قلّت، وإذا

---

[1] النهج الأسمى (١٢٤/٣)

[2] النهج الأسمى (١٢٤/٣)

[3] أخرجه احمد (١٥٦،٢٨٦/٣) صحيح

[4] النونية (٢٣٦/٢) بشرح أحمد عيسى

قبض العافية ذهبت، وإذا قبض العقول أُغلِقت، وإذا قبض الأعمار انتهت، وإذا قبض القلوب ضاقت. وبالعموم من قُبِض رزقه فقد ضُيِّق عليه ومن بُسِط رزقه فقد فُسِح له ووسِّع عليه.

وأصعب القبض هو قبض القلوب، فالله إذا قبض القلوب ضيّقها، تصبح ضيقة حرجة موحشة، منافذها مسدودة وشُعَبها مسدودة وكل شيء فيها مسدوداً. وإذا تأملت في حال هذا الذي قبض الله قلبه لوجدته في معاناة، معاناة مع نفسه ومعاناة مع زوجته وأولاده، معاناة في تعامله مع الناس بل حتى في أخلاقه وعبادته!! وضيق القلوب أصعب من ضيق المكان فكأنه في أصعب سجن وأضيقه.

وفي المقابل أعظم البسط هو بسط القلوب، اتساعها وانفساحها وانشراحها وكأن هذه القلوب قد كُسِرت أقفالها ومغاليقها وانجلى الصدأ عنها.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ [الزمر:٢٢]. قيل يا رسول الله وما هذا الشرح؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "**نورٌ يقذفه الله في القلب فينفتح القلب**"[1].

إذاً من شرح الله صدره وسّعَه ونوَّره وليَّنه وجعله فسيحاً رحباً متسعاً منيراً، وكلما عَظُم النور زاد اتساع القلب وانفساحه وانشراحه. ولو جمعت مصابيح الدنيا كلها كبيرها وصغيرها لن تستطيع أن تنير قلبك لأن هذا النور مصدره واحد وطريقه واحد وهو أن يقذفه الله في قلبك ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور:٤٠].

ومن كرامة العبد على ربه أن يضيء قلبه بهذا النور، ورسول الله ﷺ كان يطلب ربه النور فيقول "**اللهم اجعل في قلبي نوراً...**"، واستنارة القلب وإشراقه هي الغاية التي يحصّل بها العبد سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا القبض والبسط هو حسب حكمة الله وعلمه وعدله، قال تعالى ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [الشورى:٢٧].

فالله هو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، وهو العليم الذي يعامل عباده بحسب علمه فيهم، فالله لا يظلم أحداً من خلقه، حكَمٌ عدلٌ جل جلاله مُنَزَّه عن كل عيب وعن كل نقص وعن كل ظلم. إن استحق العباد البسط بَسَط لهم وإن استحقوا القبض ضيَّق عليهم.

فإذا شعرت بحرجٍ في صدرك، والحرج هو أضيق الضيق، أو رأيت ضِيقاً في رزقك سواء في أرزاق الدنيا أو الآخرة فاعلم أن الله قد ضيّق عليك لأنك تستحق التضييق والتقتير، علّتُك منك، وداؤك منك.

---

[1] الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود وكلاهما ضعيف (ولكن معناه صحيح).

- ربما عصيت فضيّق الله عليك بسبب معصيتك.
- ربما ضيّعت حقاً من حقوق الخلق (حق الوالدين، أو الزوج أو الأبناء أو الرحم...) فضيُّق عليك. هذه الحقوق شأنها عظيم كلها أمانات، ومن ضيّع هذه الأمانات نُكِّد عليه في عيشه وتكدّرت حياته، هذه الحقوق هي امتحانٌ كبير في هذه الدنيا منا من ينجح ومنا من يرسب، وللأسف كثيرٌ منّا يرسب في هذا الامتحان!!
- وربما أن التضييق الذي ابتُليت به يكون بسبب تضييقك أنت على الناس، فمن ضيّق ضيَّق الله عليه، الجزاء من جنس العمل، ومن أساء سيرى عاقبة سيئته على نفسه وما سميت السيئة بالسيئة إلا لأنها تسوء صاحبها، فأحياناً قد تجرح مشاعر إنسان أمامك بكلمة، بنظرة، برفع صوت، بتهميش أو باحتقار، فيسوؤه ذلك، فتجد أثرها في قلبك مباشرة، لذلك كان النبي ﷺ طيباً في كلامه وكان حريصاً على هذا الطيب فكان لا يؤذي ولا يجرح أحداً بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة والسلام.

نعمة شرح الصدر:

إن من أكبر نعم الله على العبد أن يشرح صدره وخاصةً في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الاضطرابات والإكتئابات والإنتحارات والحروب والكوارث، وكثرت الأسحار والمظالم والديون والإنفصالات، وانتشرت بل وامتلأت العيادات النفسية بالمرضى، فإذا شرح الله صدرك وسط كل هذا الضجيج وهذه الأحداث فاعلم أنك مرزوق.

فشرح الصدر من أعظم أرزاق القلوب، هو الحياة الطيبة التي وُعِد بها المؤمن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] وهو السعادة الحقيقية التي يبحث عنها. ولقد امتنَّ الله على نبيه ﷺ بنعمة شرح الصدر فقال له: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١].

ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والوحي والحكمة؟؟

لما اختار الله نبيه ﷺ حتى ينزّل القرآن على قلبه ويبلغ دينه وشريعته هيّأه بهذا الشرح فشرح صدره شرحاً حسياً ومعنوياً.

أما الشرح الحسي: فقد وقع مرتين، الأولى وهو مسترضعٌ في بادية بني سعد، والثانية قبل رحلة الإسراء والمعراج حتى يُهيّأ للصعود إلى الملكوت الأعلى. وفي كلا المرتين يُشقُ صدره ويُستخرج قلبه عليه الصلاة والسلام ويُغسل بماء زمزم ثم يُرد إلى مكانه.

أما الشرح المعنوي: فقد شرح الله صدره بالإيمان والعلم والقرآن فكان يتحمل ما لا يتحمله الناس.

أُوذي في نفسه وقالوا عنه مجنون وساحر وكاهن، وكذاب وبه رئيٌ من الجن.... وتحمّل ، وأُوذي في عرضه وقالوا عن زوجته وأحبّ الناس إلى قلبه عائشة رضي الله عنها ما قالوا في حادثة الإفك وتحمّل.

أُوذي في صحابته فكانوا يُقتَّلون ويُعذَّبون ويُخرَجون من بيوتهم وأموالهم وتحمّل.

تحمّل غلظة الأعراب وشدّتهم وجفائهم، وتحمّل المنافقين ومؤامراتهم ودسائسهم وكيدهم.

تحمّل أهل الكتاب وجدالهم وتعنّتهم، وما هذا إلا لأن الله شرح صدره. فإذا شرح الله الصدر انفتح وانفسح واتّسع وتحمل جميع المهمات.

ينقل لنا العلامة ابن السعدي رحمه الله في كتابه المواهب الربانية صورة ما هي إلا نموذجاً لمن شرح الله صدره فيقول: "بأنه قد يرد على الإنسان الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة الداخلية والخارجية التي لو قُسمت على أمةٍ لعجزوا عنها ثم يمُنّ الله عليه بصدرٍ متسع، وقلب منشرح فلا ينزعج من كثرتها، وتفاوتها، وتعددها، فقد أعانه الله عليها ولطَف به فيها، ولطَف له في تسهيل أسبابها وطرائقها"[١].

ومن كلام الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله وهو يفسر سورة الشرح "تسجيل صوتي" قال: "الصدر صدر فإذا شرحه الله تحمّل مالا يتحمله الملايين من الناس"، ثم شبهه كالبالون إذا نفخته انظر كيف يتسع وينفسح ويكبر ويتمدد، فقال "هكذا الشرح".

- **أهل التدبر يقولون عن سورة الشرح[٢]:**

يكفيك من هذه السورة اسمها "الشرح".

فهي سورة توجّه لكل مهموم، ولكل مغموم، ولكل متضايق، عليك بسورة الشرح. اقرأها وافهم معانيها ورددها واسأل ربك أن يشرح صدرك.

---

[١] المواهب الربانية صـ ١٢٥ بتصرف

[٢] د/ محمد الربيعة في تفسيره لسورة الشرح (موقع البث الإسلامي)

علامات شرح الصدر :

١- أن من شرح الله صدره تجده واسع التحمل فهو يتحمل ما يعجز عنه كثيرٌ من الناس.

٢- من شرح الله صدره تجده على نور، وتجده على خير وهدى، تجده قوياً في صبره، قوياً في عزمه، قوياً في تفاؤله وانتظاره للفرج. مهما تعثّر ومهما واجه من عوائق ومكدرات فإنه لا ينكسر، فهو يثقُ برحمة الله، ويمشي برحمة الله، ويعلم أن الله وحده هو الذي يملك هذه الرحمة، فإذا فتحها له فلن يملك أحد من البشر أن يُغلق عليه باباً فتحه الله له.

٣- من شرح الله صدره تجده محباً للخير، محباً لنفع الناس، محباً للدعوة، محباً لنشر الدين ولبذل نفسه في أي مجال من مجالات الخير.

٤- من شرح الله صدره تجده منطلقاً كالخيل المسرعة في كل شيء حتى في عبادته، فهو يُقبل على ربه بدون نصب ولا سآمة ولا تعب، وإن أصابه فتور أو ضعف فرقدته خفيفة لا تطول، فإذا وقع سرعان ما يعود.

وعلى هذا فإن نعمة شرح الصدر من أكبر النعم بل هي من النعيم الدنيوي المُعَجَّل، هي السعادة الحقيقية التي يتنفس بها القلب.

نسأل الله أن يشرح صدورنا جميعاً

أسباب انشراح الصدر:

أوردها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد"- المجلد الثاني بعنوان (فصل في أسباب شرح الصدور) فقال:

* "فأعظم أسباب شرح الصدر: **التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه**".

الكلام عن التوحيد وثمراته ومتعته وبركته على أصحابه كلامٌ يطول ونحتاج فيه إلى دروس ومحاضرات ولكني سأشير إلى أربع نقاط تفهم بها ما **العلاقة بين التوحيد وانشراح الصدر**.

أولاً: من أهم ما يغرسه التوحيد في قلبك ويربيك عليه أن تعرف أنه [لا سعيد إلا من أسعده الله].

الله هو الذي أضحك وأبكى، والله هو الذي أسعد وأشقى، والله هو الذي أغنى وأقنى. فالسعادة ليست بالزوج ولا بالأولاد ولا بالأهل ولا بالأصدقاء ولا بالأموال ولا بالسفريات ولا بالرفاهية والقصور

والبيوت، وإنما السعادة كل السعادة في اتصالك بالله، وتعلُّق قلبك بالله، ومعاملتك مع الله، وأن تدرّب نفسك على كثرة طرق باب الله حتى يبقى الحبل ممدوداً بينك وبين الله، هذه هي السعادة الحقيقية...

ومن لم يجعل لله مكاناً في قلبه فلن يكون للسعادة في قلبه مكان. فهذا من أسول المفاهيم التي يؤسسها ويغرسها التوحيد في قلبك.

ثانياً: التوحيد يعلمك كيف تستقبل الأقدار والمصائب والفواجع والفقد بكلمة [إنا لله وإنا إليه راجعون]، وتصبح هذه الكلمة يقيناً راسخاً في قلبك.

إنا لله: أي نحن ملكٌ لله بل وكل شيء نملكه لله، الحياة لله، المال لله، الأولاد لله، الزوج لله، الأم والأب لله، القلب لله، الأعضاء لله...

فلو فقدت الدنيا كلها فلله ما أعطى ولله ما أخذ، وفي الله عوضٌ عن كل فائت. وليس هناك عطية أفضل ممن يستغني بالله عن كل شيء، فمن استغنى بالله جبر الله كسره، وأصلح أمره، ونفّس عنه همه وغمه وضيقه وكربه.

فقدت بنتاً... فقدت ولداً.. فقدت أماً... فقدت أباً... فقدت مالاً.. **في الله عِوضٌ عن كل هؤلاء.**

الله هو الذي أعطى والله هو الذي أخذ، والله هو الذي منح والله هو الذي حرم، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

هذا الإذعان وهذا التسليم وهذا الرضا وهذا الإيمان بالقضاء والقدر هو الذي يوسع الصدر ويوسع القلب

يوسعُ الضيقَ الرضا بالضيقِ وإنما الرضا مِنَ التوفيقِ

فمن علامة توفيق الله للعبد أن يرزقه الرضا ويصب في قلبه الرضا فتهون عليه الأقدار وتتوسع عنده المضايق، ومن كان الله معه وكان الله في قلبه فلن يضيقَ عليه قلب ولن يضيق عليه درب.

ثالثاً: التوحيد يعلمك أن أمور الدنيا سهلة.

قد يطلب الإنسان أمر من أمور الدنيا زوج، ذرية، وظيفة، دراسة، مسكن، تجارة... ويسعى ويجتهد ويبذل الأسباب حتى يحصّل مراده ولكن الله يصرفه عنه، ومهما حاول أن يطرق الأبواب فإنها لا تُفتح ولا تتيسر فيصيبه الإحباط والاكتئاب وييأس ويُطبق الغم على صدره إطباقاً، ويرى أنه لا أحد مصاب في الدنيا بمثل مصيبته.

كل هذا من تلاعب الشيطان به ومن مكره وخداعه حيث يهوّل له الأمر ويكبّره ويضخّمه فينشغل به ويعطيه أكثر مما يستحق، بل قد يصرفه عن كثير من عبادته ونوافله وعلمه ودروسه، فيقدّم هموم

الدنيا على الآخرة، وينسى أنه يدعو ويقول (**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي**) وأمور الدنيا سهلة إن أقبلت وإن أدبرت، المهم أمر الآخرة وأن لا تكون المصيبة في ديننا.

– نعم لكَ أن تبكي ويضيق صدرك وتضيق عليك الأرض بما رحبت إذا شعرت أنك محبوس عن طاعة الله وأن إيمانك قد نقص، وأن نوافلك وعبادتك قد نقصت، وأن قيامك بالليل وبكاؤك وخشوعك قد نقص.

– تبكي ويضيق صدرك إذا ضاعت منك صلاة الفجر ويمر عليك اليوم واليومين والثلاث وأنت لم تصلي الفجر.. والله يقول ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٨٧].

– تبكي ويضيق صدرك إذا ضاع منك القرآن وتفلّت وأصبح ثقيلاً عليك ولا تستطيع أن تفرغ ساعة من وقتك له.

– تبكي ويضيق صدرك على سقطات لسانك وتفلّت عزائمك وأنت ترى العمر يمضي والأيام تمضي وهناك أناسٌ شمّروا ونافسوا وسابقوا وأنت في مكانك كما أنت.. عندها يحق لك أن تضيق وتهتمَ وينحبس صدرك، أما الدنيا وهمومها وغمومها وأكدارها وأحزانها وأشجانها وكل ما فيها هي أحقر وأصغر من أن تصرفك أو تشغلك أو تسيطر عليك وتقطعك. ثم اعلم أنه ليس في الدنيا سرورٌ كامل، فمهما رأى الإنسان من بهجة الدنيا وسرورها وفرحها إلا ويجعل الله فيه تنغيصاً وتكديراً وجعل الله مسراتها إلى تنغيص، ومهما سُررتَ بها لا بد أن ترى يوماً تبكي فيه بمرارة من الدنيا.

لا توجد سعادة كاملة ولا سرورٌ كامل فيها وكل هذا حتى لا يركن المؤمن لها ولا يتعلق قلبه بها ويبقى السرور بالله وحده، والمحبة الكاملة لله وحده.

هذه المعاني الإيمانية تريح الإنسان وتخفف عليه همومه وضيقه ومشاكله وتُصغِّر الدنيا في نظرة.

ثم إن الأخيار من الخلق إذا طلبوا شيئاً من الدنيا وتعسّر عليهم وعجزوا عنه فإنهم يتفاءلون تفاؤلاً عجيباً.. لماذا؟ لأنهم يعلمون أن عِوض الله وحُسن الخلف لا يأتي غالباً إلا إذا تعب الإنسان.

تضيق وتضيق الأمور على العبد حتى وكأنه في عنق الزجاجة وهو ما يزال يبحث عن الحل وعن المخرج ويبذل السبب، وبعد كل هذا التعب يأتي العِوض وحُسن الخلف من الله ويوسعها الله عليه.

وعلى كل من طلب أمراً من أمور الدنيا ولم يتيسر له وأُغلِق عليه فليعلم أن لله حِكماً عظيمة في خلقه

**فمن الناس من يسهل الله له الدنيا
ويعطيه منها فيحمده ويشكره ويتقيه
فيها، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء

**ومن الناس من ينكد الله عليه
الدنيا ويجعل نكدها راحةً له في
إيمانه وسعادةً له في طاعته واستقامته

فإذا صرف الله عنك حاجةً من حوائج الدنيا أو أمراً من أمورها فكن مطمئناً بالله ولا تسئ الظن بربك، ولا تغالب أقدار الله، واعلم أن الله قد صرف عنك من البلاء والشر ما لا تعلمه والله يعلم وأنتم لا تعلمون، والله وحده هو الذي يعلم عواقب الأمور.

- اسأل ربك دائماً أن لا يصرفك عن أمر أو يصرفه عنك إلا ويجعل ذلك الصرف خير لك في دينك ودنياك وعاجل أمرك وآجله واسأل الله الخيرة دائماً وأن يبارك لك فيما قضاه لك من أقداره.

رابعاً: التوحيد يعلمك الاستخارة.

الاستخارة كنز عظيم لمن جربه وداوم عليه. في الاستخارة أنت تتجرّد لله تجرداً كاملاً وتبرأ من حولك وقوتك وتعترف بين يدي ربك أنك لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً ولا تعرف الخير من الشر فتسأل الله أن يختار لك.

إذا استخرت فامضِ في الأمر وابدأ فيه فإذا تيسرت الأمور وانفتحت الأبواب فهذه الخيرة، وإن تعكرت وأُغلقت وتعثرت فالخيرة في هذا الإغلاق وما هو إلا استجابة لدعائك **(وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيثما كان ثم ارضني به)**، فارض باختيار الله لك بدون هموم ولا غموم ولا ضيق ولا حزن ولا بكاء، فاختيار الله للعبد أفضل من اختيار العبد لنفسه.

أذا استخرت ومضت الأمور وتم الموضوع الذي استخرت فيه ثم رأيت مصائباً وأحزاناً ومشاكلاً تحيط بك من كل جهة فلا يسوء ظنك بربك.

واستمع لهذه الكلمة التي قالها ابن الجوزي رحمه الله: "فإن آلمك كربُ اختياره فاعلم أنك بين يديه".

الله هو الذي أجرى عليك هذا القدر بكل ما فيه من الألم والبكاء والمشقة، هذا الذي نزل بك هو وفق حكمة الله ومشيئته وبإذنه وبأمره وما هو إلا لمصلحتك ومنفعتك، لأن الله يعلم بما يُصلح عباده وبما ينفعهم، فهو الرب الذي يربي عباده ويكمل نقصهم، ويسد ثغراتهم، وينقلهم من النقص إلى الكمال، وهذه تربية الله التي لا تعدلها تربية أحد من البشر.

فارض واعلم أن هذا البلاء وهذا القدر يناسبك تماماً فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، واعلم أيضاً أنك في دائرة تكفير وتنقية وتصفية ورفعة في الدرجات. فإن البلاء لا يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة.

واستمع لهذه العبارة بقلبك لعلها أن تفرج عنك ضيقاً قد خيّم عليك وحزناً قد هجم عليك، وهي من العلامة المحدث فضيلة الشيخ أبا إسحاق الحويني حفظه الله ومتعنا بعلمه: "**كل مصيبة نزلت بك فجلّلتها بحسن الظن انقلبت رضاً وبركة عليك**".

هذه النقاط الأربع كفيلةٌ أن توضح لك العلاقة بين التوحيد وانشراح الصدر.. فكلما زاد توحيدك وإيمانك وقربك من ربك زاد انشراح صدرك.

وكلما زاد توحيدك انفتح لك كل مُغلَقٍ وتيسر لك كل عسير وقرُب منك كل بعيد.. فالله الله في توحيدك[1].

* السبب الثاني **العلم، فإنه يشرح الصدر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يُورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره.**

تعلُّم العلم وتعليمه وحضور مجالسه من الأبواب العجيبة في شرح الصدر، ولا عجب في ذلك فهي من رياض الجنة كما قال ﷺ لصحابته: "**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَق الذكر**"[2].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن لله سيارةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر....**"[3].

فالملائكة تطلب هذه المجالس وتتنزل فيها وتحيط أهلها، وفي هذه الإحاطة خيرٌ كثير وبركةٌ كبيرة، فإن الملائكة تقترب من العبد الصالح وتجلس إليه وتدعو له وتستغفر له وتتنزل عليه بالرحمة، مما يجعل الإنسان يرتقي بروحه فتسمو روحه وتعلو فهي في صحبة الملأ الأعلى، فمن كان هذا وصفه سيكون ولا بد من أوسع الناس صدراً.

– أيضاً مما يتفضل الله به على أهل العلم ومن جلس في مجالس العلم بأن تتنزل عليهم السكينة وإذا نزلت السكينة هدأ القلب وأمِن وزال قلقه وتبدّدت وحشته وذهب خوفه.

– كذلك تغشاهم الرحمة، ومن رحمهُ الله فلن يجعله محبوساً محصوراً داخل نفسه وكأنه يتنفس من ثقب إبرة، بل سيُفسح له وأول ما يكون هذا الفسح وهذا البسط في قلبه وصدره.

– أكثر من يتعرض لمحو سيئاته هو طالب العلم لأن تعلم العلم حسنة وتعليمه حسنة، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

ثم إن ذنوبه تزول عنه ليس باستغفاره فقط وإنما باستغفار عدداً لا حصر له من المخلوقات "إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير".

---

[1] من باب الأمانة العلمية هذا المحور [التوحيد] بكل نقاطه استفدت فيه من دروس فضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطي حفظه الله ونفعنا بعلمه

[2] رواه أحمد والترمذي والبيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

[3] مجمع الزوائد (٧٧/١٠)

إذاً بالعلم تعلماً وتعليماً ومدارسةً تخف الذنوب وتزول، والمعاصي والذنوب من أكثر ما يضيق الصدر ويقبضه، فما هي إلا إغلاقٌ وإطباقٌ على أصحابها، والقلب كما قال أحد السلف "كالكف المبسوط فكلما أذنب العبد ذنباً يضم إصبعه ثم يذنب آخر فيضم إصبعه ثم يذنب حتى يضمها كلها ثم يختم عليه".

ثِق أن كل معصية تُؤثر على قلبك، وكل معصية ترتقي منها ظلمة لقلبك، وتنكتُ نكتة سوداء في قلبك، فتزيد مساحة السواد وتتكون الأغلفة التي تحجب عن القلب كمال الإنشراح، وكمال الإنفساح، وكمال السعادة والطمأنينة ويحل بالقلب ضيقاً وحرجاً ووحشةً لِما تكوّن عليه من طبقات.

واختم بكلام لإبن القيم يصف فيه أثر المعاصي على القلب فيقول: "من آثار المعاصي وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة... وليس على القلب أمرّ من وحشة الذنب على الذنب والله المستعان".

فكلما تخفف الإنسان من ذنوبه اتسع صدره وانفسح وانشرح، والعلم وتعلّمه وتعليمه من أعظم الأسباب التي تزيل الذنوب وتشرح الصدر.

* السبب الثالث: **الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبالُ عليه، والتنعُّم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك... ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلُّق القلب بغيره، والغفلةُ عن ذكره، ومحبةُ سواه، فإن من أحبَّ شيئاً غير الله عُذِّب به وسُجِن قلبه في محبة ذلك الغير.**

هذا القلب الذي لا يتجاوز حجمه قبضة اليد، والذي لم يذكر في القرآن عضو مثلما ذُكِر، هو وديعةٌ استودعنا الله إياها، خلقه الله من أجل العبودية، من أجل أن يكون لله ويبقى محفوظاً لله، لا يخضع ولا يذل ولا يتعلّق إلا بالله.

فلواحدٍ كُن واحداً في واحدٍ   أعنـي سبيلَ الحقِ والايمانِ

هذا هو مقتضى العبودية الذي خُلِقت من أجلها، فأنت عبدٌ من رأسك إلى قدميك، بعقلك، بقلبك، بجوارحك، أنت عبدٌ لله، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وهذه العبودية تتضمن معنى الذُل ومعنى الحب، بأن يكون الله أحبّ إليك من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عندك من كل شيء.

فإذا خالفت الطريق وخالفت مقتضى العبودية وبعثرت قلبك هنا وهناك وسلّمته لغير الله وعلّقته بغير الله فلا بد أن تأتيك العقوبة، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وجاء في الحديث أن من تعلّق شيئاً وُكِل إليه، أي أن الله سيكلك إلى الجهة التي تعلّقت بها ومنتهى الخذلان بك أن يكِلك الله إلى غيره.

ولن تجد في الدنيا أشقى ولا أتعس ولا أخيب من عبدٍ تولّى إلى غير سيده وتعلّق بغير ربه، والقاعدة معروفة بأن من سلّم قلبه لمخلوق فسوف يشقى به لأنه سيُعامل بنقيض قصده،، فهو لما تعلّق بغير الله اعتقد أنه سيرتاح ويتلذذ وينعم ولكن للأسف سيجد العكس تماماً، وهذه سنة مطَّرِدَة أن من أحبَّ شيئاً عُذِّبَ به.

ونحن لا نتكلم عن الحب الطبيعي وإنما عن التعلّق الذي يثقب القلب، فيُفرِط في الحب إفراطاً شديداً ويميل قلبه بكليته إلى ذلك المحبوب سواء كان من المخلوقين أو بأمرٍ من أمور الدنيا حتى يصل به أن يقدم هذا المحبوب على الله ويقدم رضاه على رضا الله ويؤثره على شريعة الله ودينه.

– انظر كم من أناس خسروا كثيراً من إيمانهم وتوحيدهم ودفعوا مبالغ هائلة لسحرة ومشعوذين لربط فلان وصرف فلان، وحتى لا يتزوج هذا، أو ليطلق الآخر، وكل هذا من صور التعلق المقيت المذموم التي يخسر المرء من خلالها توحيده ويدخل في دائرة الشرك ومن سحر فقد أشرك وكله من أجل مخلوق!!

– كم من أناس تحولت حياتهم إلى معيشة ضنكاً، معيشة ضيقة حرجة لا تطاق، ليس فيها إلا دموع وبكاء وهم وغم وكآبة وسواد، لماذا؟ لأنهم فقدوا محبوبهم فاكتووا بناره، ومن المسلَّم به أنه كلما ارتفع الإنسان بمتعلقات الدنيا اكتوى بنارها.

– كم من أناس ضيعوا صلواتهم ومساجدهم وقرآنهم ولم يبق لهم من الدين إلا الإسم الذي كُتِب في بطاقاتهم، ثم إذا نظرت إليهم فإذا هم قد انغمسوا وانشغلوا بالجري اللاهث وراء الصفقات والثروات والأموال والتجارات والسفر من بلد إلى بلد، حبسوا قلوبهم على الدنيا، وعلّقوها بالدنيا، وتزاحموا على

الدنيا، يرضون من أجلها، ويسخطون من أجلها، فصارت قلوبهم أسيرة لها، وقد أخبر رسول الله ﷺ بتعاستهم "**تعِس عبد الدرهم، تعِس عبد الدينار، تعِس عبد القطيفة، تعِس عبد الخميصة...**"[١].

– وكم من أناس جمعوا على أنفسهم سلسلة من الكبائر، من نظرٍ إلى حرام وسماع للحرام، وسهرٍ على الحرام من أجل ماذا؟ من أجل أن يُرضيَ عنه مخلوقاً صار قلبه مسترِقّاً له.

هذه صور من صور التعلّق بغير الله والتي يبقى القلب أسيراً ومملوكاً لها. لذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله "إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب"[٢]، وسيأتي يوم على الإنسان يقول فيه ﴿ **يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٨].

يالله! ما أعظمها من حسرة وما أعظمها من ندامة وما أشده من أسف، ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٧]، يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه أكلها ندامةً على ما فات.. تحول الحب إلى عذاب، وتحول الحب إلى عداوة وندامةٍ وبُغض.

- وقد سُئل الشيخ العلامة محمد المختار الشنقيطي حفظه الله ونفعنا بعلمه عن رجل يحب زوجته حباً شديداً لدرجة أنه يقول في دعائه "اللهم لا تصرفني إلى أحدٍ غيرها"!!

فرد عليه الشيخ بأن المبالغة في حب الزوجة والمبالغة في حب الزوج فتنة، وينبغي للإنسان أن يتأدب مع الله فإن من لم يتأدب مع الله ربما يقول كلمات يندم عليها ويرى أثرها في نفسه إن لم يتُب منها، ثم أخبره بقصة رجل يعرفه أحبّ زوجته حباً شديداً وكانت لا تنجب، نصحه الناس بأن يتزوج لعله يُرزَق الذرية، ولكن من حبه لزوجته كان يقول "ذرية من غير هذه لا أريد"!

امتدّ به العمر حتى بلغ الستين من عمره فبدأ يحنّ للذرية ويتمنى ويشتاق للذرية ويتقطع قلبه عليها، دبّ خلاف بينه وبين وزوجته فطلقها، ثم أصبح في آخر عمره يلهث وراء النساء يبحث عن الذرية يتزوج هذه ويطلقها، ويتزوج الأخرى ويطلقها وهكذا حتى مات رحمه الله[٣].

---

[١] رواه البخاري (٦٤٣٥)

[٢] كتاب العبودية لشيخ الإسلام

[٣] مقطع منقول (بتصرف) من تسجيل صوتي لأحد دروس الشيخ في الإنترنت

والشاهد من القصة:

- على الإنسان أن يتأدب مع الله وأن يحذر لسانه فإن الإنسان يُهلكه لسانه. وقد قالها رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يُكب الناس في النارِ إلا حصائد ألسنتهم**".
- وأن لا يُضيِّق على نفسه ما وسّعه الله عليه.
- و لا يبالغ ولا يفرط في حبه لمخلوق حتى لا يُعذَّب به.

وعلى هذا من أراد السعادة وانشراح الصدر وراحة القلب ونعيمه فلا يعلّق قلبه إلا بالله، وليصفِّي قلبه من كل المتعلقات، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسرّ ولا يطيب ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وكلما ازداد حباً لله ازداد له عبوديةً ومعرفةً وحريةً عما سواه وتحرر من رِق الخلق ومن رِق الدنيا..

* السبب الرابع: **دوام ذكر الله على كل حال وفي كل موطن، فللذكر تأثيرٌ عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب.**

قال تعالى ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨]، وقال ﷺ: "**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**"[١].

فالذكر فيه حياة للقلب وفيه سرٌ عجيب في القوة والفتح والشرح، يزيل الهم والغم، ويُفرح القلب، ويطرد الشيطان ويطرد الكسل. ومن علامة توفيق الله للعبد أن يفتح عليه بالذكر فيجعله عبداً ذكّاراً شكّاراً.

- وعلى رأس الذكر الذي يشرح الله به الصدر هو (القرآن). وقد كان رسول الله يقول في دعائه "**اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي**"، والربيع ما هو؟ خضرة وماء ونبات وجمال وزهور وأُنس وسعة، وهذه المعاني كلها إذا جمعتها تعطيك معنى الانفساح والانشراح والبهجة والسعادة.
- وقد ضرب الله لنا في القرآن مثلاً بديعاً في كتابه يبين أثر القرآن على القلب. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور:٣٥].

---

[١] رواه البخاري

المشكاة هي الكُوة أو الفجوة أو الفتحة التي تكون في الحائط. هذه المشكاة فيها مصباح وهو السراج أو الفتيل، هذا السراج محفوظ بداخل زجاجة، هذه الزجاجة لها وصف خاص تميزت به أنها مثل اللؤلؤة البيضاء المشرقة المضيئة الصافية، ومن شدة صفائها ولمعانها كأنها كوكبٌ دريّ.

وقود هذا المصباح (زيته) هو من شجرة مباركة وهي شجرة الزيتون، هذه الشجرة في وسط البستان تصيبها الشمس في كل وقت لذلك زيتها في غاية الجودة بل يكاد يشتعل ولو تمسسه نار.

يا ترى كيف ستكون إضاءة هذا المصباح الذي اجتمعت فيه كل هذه الأنوار؟؟ نور الزجاجة الصافي، ونور الزيت الصافي ونور السراج الأصلي، لا بد أن نوره سيكون مشعّاً قوياً مكتملاً، ولن يبقى في هذه الكُوة شيء مظلم.

هكذا قلب المؤمن فهو أصلاً مضيء إضاءة ذاتية وهي إضاءة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإذا أضيف إلى هذا النور نور القرآن، نور الوحي اكتملت الأنوار وأصبح (نورٌ على نور) وزاد إشراق القلب وضياؤه، واستنارة القلب هي الغاية التي يحصّل بها المرء سعادة الدنيا والآخرة، ﴿**وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [الشورى:٥٢].

ومن انقطع أو تأخر أو زهد في هذا النور فهو مجروح قد أُصيب في إيمانه وفي قلبه، فالزهد في القرآن علامة حرمان، وما حُرم عبدٌ من طاعة إلا لأن شيئاً من الإيمان قد انطفأ في قلبه ونعوذ بالله أن تُطفأ أنوار قلوبنا.

* السبب الخامس: **الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع.**

الكريم المحسن من أشرح الناس صدراً وأنعمهم قلباً، والبخيل هو من أضيق الناس صدراً وأنكدهم عيشاً.

وقد ضرب رسول الله ﷺ للبخيل والمتصدق "**كمثَلِ رجلَين عليهما جُنّتانِ من حديد، كلّما همّ المُتصدّقُ بصدقةٍ، اتّسعت عليه وانبسطتْ، حتى يجرّ ثيابهُ ويعفيَ أثرهُ، وكلّما همّ البخيلُ بالصدقة لزِمَتْ كلُّ حلقةٍ مكانها، ولم تتسعِ عليه**"[1].

شبّه النبي ﷺ المتصدق والبخيل كمثل رجلين كل واحد منهما عليه درع، فالمتصدق كلما أخرج وأحسن وبذل ونفع اتّسعت هذه الدرع حتى غطت جسده، والبخيل كلما أمسك وشحّ وبخِل ضاقت هذه الدرع وانحسرت حتى التصقت بعنقه وخنقته.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم

وهذا المعنى تجده في كتاب الله في سورة الليل التي أسماها ابن عباس رضي الله عنه بسورة (البخل والسماحة).

يقول الله عز وجل: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** ﴿٥﴾ **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** ﴿٦﴾ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ [الليل:٥-٧].

الذي يعطي أياً ما كان هذا العطاء، عطاء مال، أو عطاء نفس أي من نفعه ومن علمه ومن جهده ومن مشورته ونصحه ويعطي وهو مخلصٌ مصدقٌ بما عند الله، مُنتظر ثواب الله فإنه سيجد من الله تيسيراً فهناك علاقة بين العطاء والتيسير، فكما يسر هو على عباد الله ونفعهم وأحسن إليهم فإن الله سييسره لليسرى، وأول ما يكون هذا التيسير في نفسه وقلبه، بل وتيسيراً في كل باب يطرقه.

إذا كان الله عز وجل جعل جزاء من أفسح في المكان لأخيه أن يجد توسعة الرزق في الدنيا وتوسعة المنازل في الجنة فكيف بمن فرّج عن مسلم كربة أو دفع عنه مسغبة أو قضى له حاجة؟؟ أي فضل سيناله ويظفر به من ربه؟؟

وعلى العكس تماماً فذاك البخيل لن يجد إلا تعسيراً وأول ما يكون هذا التعسير في قلبه ونفسه، ﴿**وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ** ﴿٨﴾ **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ** ﴿٩﴾ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [الليل:٨-١٠].

* السبب السادس: **الشجاعة فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متسع القلب، والجبان أضيقُ الناسِ صدراً وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم.**

لماذا يُعدّ الشجاع من أشرح الناس صدراً؟ لأنه قوي القلب، حرّر نفسه من الخوف والتردد والوهن وكثرة القيود، لا تجده مهزوماً ولا مُكَبلاً ولا ضعيفاً ولا سلبياً ولا متذبذباً، بل هو يتحرك وكأنه أمةٌ لوحده.

بينما الجبان لا تجده إلا مخلوعاً خائفاً يفر من كل شيء، ويتردد في كل شيء، أشقى نفسه وحاصرها بكثرة الخوف، لا يستطيع أن يقتحم أو يُقدم أو يواجه فلا جرأة ولا شجاعة عنده، وذلك لضَعف قلبه وضَعف توكله وثقته بربه.

لذلك كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الجبن[1] ويعتبره من شر الصفات التي يُبتلى بها الإنسان فتضيق عليه حياته فقال: "**شر ما في رجل شحٌ هالع وجُبنٌ خالع**"[2].

وكان ينفيه عن نفسه عليه الصلاة والسلام فيقول: "**....ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً** "[1].

---

[1] صحيح البخاري- الحديث (٢٨٢٢)

[2] صحيح سنن أبي داود (٢١٩٢)

فإن رأى المؤمن في نفسه جبناً أو خوراً فعليه أن لا يستسلم ولا يرض بهذا الخُلق الدنيء فلا يرضى بالدون إلا دنيء، ويلزمه كثرة الإستعاذة بالله والإلحاح على الله أن يرفعه عنه، ثم يقوي قلبه بالمِران والتدريب وخوض المواقف واقتحام الصِعاب حتى يقوى وليتذكر دائماً أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

* السبب السابع: **إخراج دغل القلب.**

بعض الناس يعيش في هذه الدنيا وكأن قلبه كهفٌ مظلم تعوي فيه الذئاب. قلوب حاقدة لا تعرف النوم ولا الراحة، قلوب حاسدة والحسد قد تسلّط على الناس ولم يسلم منه إلا القليل، قلوب متناحرة كارهة، مملوءة وكأنها عبوات جاهزة للإنفجار،، كل هذه أورام تُضيق الصدر وتُكدِّر القلب ويلقى الإنسان ألمها وحرها وأثرها في الدنيا والآخرة.

- ولو تأملت حياة الصحابة رضوان الله عليهم لوجدت قلوبهم من أعجب القلوب وأنقاها وأصفاها.

ها هم الأنصار يأتون إلى رسول الله ﷺ بعد أن آخى بينهم وبين المهاجرين، وحين شعروا أن إخوانهم الآن في غربةٍ وفقرٍ وانقطاع فقالوا: "يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخل"، مزارعنا- بساتيننا- ثمارنا اقسمها بيننا وبينهم يا رسول الله! ولا يتصور أحد أنه عرض سهل ميسر أن أعطيكَ نصف ما أملك من مال وعقار بنفسٍ راضية ومن دون مقابل، فهذا يحتاج إلى درجة عالية جداً جداً من ترك الأثرة والأنانية وإماتة حظوظ النفس!! لكنهم صحابة رسول الله.

- رفض رسول الله ﷺ عرضهم فقال الأنصار: إذاً تكفوننا المؤونة ونقتسم الثمر، فلما جاء وقت الحصاد واقتسام الثمر، كان صنيع الأنصار رضوان الله عليهم عجباً، فكانوا إذا وزنوا لأنفسهم وضعوا مع الثمر سعف النخل حتى إذا وزنوا لإخوانهم من المهاجرين وضعوا بدلاً منه تمراً فيزيد نصيب المهاجرين من التمر!! يبخسون حق أنفسهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

إنها سلامة الصدر، وأخوة الإيمان التي وزنها الأنصار بقول النبي ﷺ: "**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**".

إنه صفاء القلب وذوبان الشخصنة بينهم وبين إخوانهم حتى يقول أحدهم (ما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، إنما نحن إخوة).

من هنا تنزّلت البركات والرحمات عليهم، ومن هنا جاء الفسح والشرح لقلوبهم وصدورهم، ومن هنا جاءت رقة قلوبهم فكانوا قوماً بكائين، والقلب إذا عريَ رَقّ.

---

[١] صحيح البخاري (٢٨٢١)

إذا تخلّص القلب من أمراضه وأورامه وعِلله وأسقامه فإنه سيرِق ويخبت ويلين وينشرح.

* السبب الثامن: **ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم** فإن **هذه الفضول تستحيلُ آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره وتحبسه وتضيّقه ويتعذّب بها.**

هذه الأمور الخمسة أو الستة تسمى بمفسدات القلوب لأنه لا يُطفئ ولا يطمس النور في القلب مثل الإسراف والإغراق في هذه المباحات والخروج عن الحد المألوف. وهذا صحيح فكلها منافذ تصب في القلب وتؤثر عليه وأثرها ظاهرٌ جداً.

- من جهة أنها تضعفه، تصيبه بالفتور والثِقل والتراخي والكسل وهذا من طبيعة النفس أنها إذا شبعت ورويت وامتلأت تثبطت إلى الأرض وقلّ حماسها، وتعرقل سيرها.
- ومن جهة أنها تُفقد الإنسان لذة العبادة، فقد يقرأ القرآن وينتهي وهو لا يشعر بشيء!! وقد يفتتح صلاته ويخرج منها وهو لا يشعر بشيء!! بل إنه منذ دخل لصلاته هاجمته الوساوس والخطرات وتشتت قلبه هنا وهناك، ومن أكثر ما ضيَّع علينا صلاتنا هو ما ابتُلينا به من كثرة الخلطة والقيل والقال وتلك المجالس الفارغة التي نرى أثرها مباشرة في صلاتنا.

ولو أننا حفظنا الله في ألسنتنا وأسماعنا ومجالسنا لحُفِظنا في صلاتنا، والقاعدة معروفة **(إحفظ اللهَ يحفظك)**، الله يحفظ من يحفظونه، إذا حفظت الله حفظاً بالغاً حفظك الله حفظاً بالغاً، وإذا حفظته حفظاً قليلاً نقص حفظه لك[1].

- ويظهر أثر الفضول أيضاً من جهة تضييع الوقت والحسنات، فمن علامة رضى الله عن العبد أن يوفقه لحفظ وقته ومن علامة سخط الله عليه أن "يناكدُه في وقته" فيتفلّت منه ويضيع منه وتُنزع بركته. وإهدار الوقت من المقت لأنه إذا ضاع وقتك ضاع حظك من الله، وقلّت منزلتك ودرجتك عند الله.
- ومن كثُر كلامه كثُرت زلاته وسقطاته، وأكثر ما يُهلك الإنسان لسانه، فكم من كلمة اسودّ بها القلب، وكم من كلمة كانت مفتاحاً للشر، وكم من كلمة كانت سبباً في تنغيص وتكدير حياة إنسان،

اللسان شأنه خطير وكبير وهو موطن البلاء لذلك حذر منه رسول الله ﷺ وبيّن أن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه، وجاءت الوصايا النبوية كثيرة في كف اللسان: كف عليك هذا، أمسك عليك لسانك، من صمت نجا، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه.

---

[1] راجع اسم الله الحفيظ في ملزمة سورة الكهف من إصدار دارنا

وكل هذه الوصايا لتعلم خطر هذا اللسان وفضول الكلام والقيل والقال الذي هو من أكثر وأسرع ما يُفسد القلب ويُطفئ نوره ونشاطه وحماسه وكلما كففت لسانك نجوت وكنت أكثر قرباً إلى ربك.

نسأل الله أن يعيننا على حفظ ألسنتنا وأوقاتنا، وأن يبصرنا بعيوبنا ويعيننا على التداوي والخلاص منها

وينقلنا من خير إلى خير، ومن صلاح إلى إصلاح، ومن حسن إلى أحسن... هو وليّ ذلك والقادر عليه

هذا ما يسر الله لي جمعه في التعليق على هذه الرسالة وأسال الله الإخلاص والقبول وأن يجعله عملاً صالحاً مباركاً فيه.

تم الإنتهاء من كتابته
الأربعاء
١٤٣٣/١١/٢٤ هـ